
د. عبد الله شحاته
حقوق الزوجين
وصحابيات
الرسول
صلى الله عليه وسلم

رئيس مجلس الإدارة :

إبراهيم سعده

مطبوعات مايو

المدير العام:

علوى عامر

• دار مايو الوطنية للنشر •

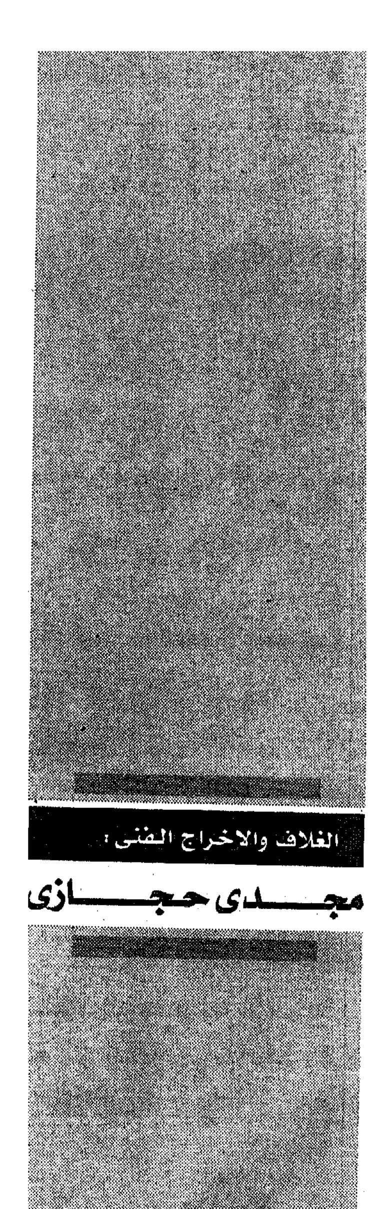
١٦ شارع المنتزة - الزمالك - القاهرة

ت: ٣٤٠٩٩٠٠ / ٣٤٠٩٩٠٧ / ٣٤٠٩٩٠٩

ص. ب: ١٢٥ الجيزة Fax. : 3409046

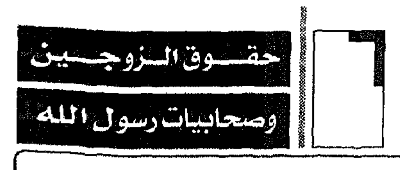
حقوق الزوجين وصحابيات رسول الله صلى الله عليه وسلم

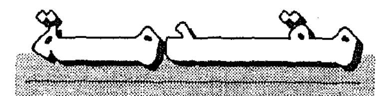
د . عبد الله شحاتة
أستاذ الشريعة الإسلامية
كلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة



الغلاف والاخراج الفنى :

مجـــدى حجـــازى


حقوق الزوجين
وصحابيات رسول الله


مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا محمداً ﷺ ، وعلي آله وصحبه أجمعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، أما بعد .

فقد تحدث القرآن الكريم عن النساء كما تحدث عن الرجال ، تحدَّث عن حوّاء وعن آسية امرأة فرعون ، ومريم ابنة عمران ، وعن بلقيس ملكة سبأ ، وعن أم موسى وعن هاجر أم اسماعيل، وعن آسية أمّ اسحاق ، وعن نساء مؤمنات مجاهدات ، وعن نساء كافرات عاصيات .

ثم وضع الأساس العام ، فى أن كل فرد رجلاً كان أو امرأة سيجازى على عمله قال تعالى :

﴿ من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينّه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ﴾ (النحل : ٩٧)

وقال سبحانه :

﴿ فاستجاب لهم ربّهم أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو انثى بعضكم من بعض ﴾ (آل عمران : ١٩٥)

وهذا كتاب من بابين ،

الباب الأول :

تحدث عن الزواج ونظام الأسرة ، وذكر الخِطبة ، وأهم ما ينبغى أن يراعى فى اختيار الزوجة ،

ثم تحدث عن حقوق الزوجة ، وما يتعلق بذلك من المهر والنفقة .

ثم تحدث عن حقوق الزوج على زوجته ، ومنها الطاعة والقرار في المنزل ، والحقوق المشتركة بين الزوجين ، ومنها حسن العشرة ، والتعاون فى رعاية النسل والذرية ، وثواب العناية بتربية البنات .

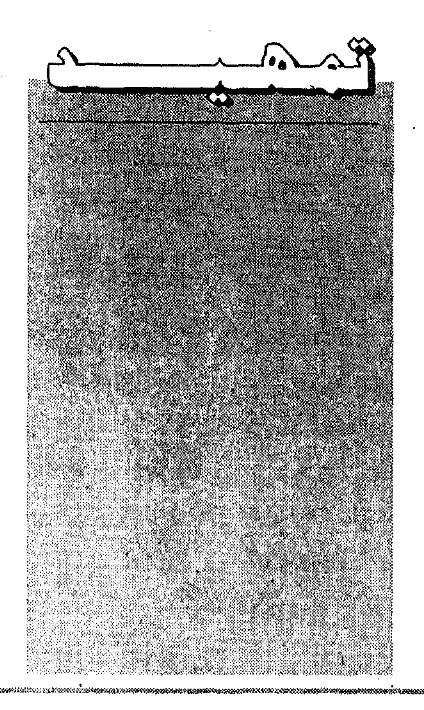
والباب الثانى :

تحدث عن صحابيات رسول الله ﷺ وترجم لاثنتين وثلاثين صحابية من الصحابيات ، وذكر سيرتهنّ وجهادهن وحياتهن فى المنزل ، وفى طلب العلم وفى الجهاد ومكارم الأخلاق ، فهنّ قدوة عملية ، وسيرة حسنة ، تكوّن الأسوة والقدوة ، والمثل الأعلى قال تعالى : ﴿ أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ﴾ (الأنعام : ٩٠) .

والله ولى التوفيق ..

د . عبد الله شحاتة

تمهيـــد



المرأة قبل الإسلام وبعده

تباينت آراء المؤرخين حول العصور التى سبقت الإسلام ، فمنهم من يصورها عصور جهل وانحطاط وظلم ، ولذلك دعيت بالجاهلية، ومنهم من يطلق عليها هذا الاسم لجهل العرب بالإسلام .

وكذلك قضية المرأة ، ففريق يرفع منزلتها فى نظر عرب الجاهلية ، والفريق الآخر ينكر ذلك ، ويظهرها فى مظهر الممتهن المسلوب الحقوق ، والحقيقة وسط بين الأمرين .

فمن النساء من نالت منزلة سامية كخديجة بنت خويلد ، وهند بنت عتبة بن ربيعة ، التى اشترطت على أبيها ألا يزوجها رجلا حتى يعرضه عليها ، وقد خطبها رجلان فاختارت منهما أبا سفيان بن حرب .

كما أنه وجد من احتقر المرأة ووصل به الأمر إلى وأدها ، ويمكننا القول بأن مركز المرأة قبل الإسلام كان ضعيفا من جهة ، وبارزا من جهة أخرى .

فالمعلقات التى تعد من روائع الشعر العربى ، لا تخلو من الإشادة بالمرأة والغزل بها ، والمدح والفخر لإرضائها .

وتتميز المرأة الجاهلية في الجملة بخلال ثلاث : العفة ، والفصاحة ، وحسن التربية لبنيها .

كراهيـة البنـات

تفيـد آيات القرآن ونصـوص الأحاديث والأخـبار وروايات الأدب العربى ، أن العـربى قبل الإسـلام كان صاحب المـركز الممـتاز فى الأسـرة والمجـتمع ، فهـو قوام الأسـرة وربها ، والمسـئول عن حياتهـا ورزقها ، وشئـونها وسلامتـها ، وهو الملكلف بالحرب والمطالب بالثأر والمغرم ، وهو المخاطب فى المسئوليات والتبعات الإجتـماعية المتنوعة ، وكانت المرأة من حيث العموم تابعة للرجل ومنسوبة إليه ومسيرة بأمره ، وكان هو الذى يمثلها فى مصالحها الخاصة .

وفى القرآن آيات عـديدة ، تشير إلى ضعف مـركز المرأة ، وكراهية العربى لميلادها ، ونستوضح ذلك من الآيات التالية :

١ - ﴿ وإذا بشـر أحدهم بالأنثى ظـل وجهـه مسـوداً وهو كظيم ، يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه فى التراب ألا ساء ما حكمون ﴾ (النحل : ٥٨ ، ٥٩)

٢ - ﴿ وإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وهو كظيم ، أو من ينشؤا فـى الحيلة وهو فى الخصام غير مبين، وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا أشـهدوا خلقهم ستكتب شـهادتهم ويُسألون ﴾ (الزخرف : ١٧ ـ ١٩).

٣ - ﴿ فـاسـتفـتـهم ألربك البنات ولهم الـبنون ، أم خلقنا الملائكة إناثا وهم شاهدون ﴾ (الصافات : ١٤٩ ، ١٥٠) .

٤ - ﴿ ألكم الذكـر وله الأنثى ، تلك إذن قسـمة ضـيرى ﴾ (النجم ٢١ ، ٢٢) ومـعنى ضيـزى ، جـائرة ، وفى الصحـاح (ضـاز) فى الحكم جار .

٥ - ﴿ وإذا الموءودة سئلت ، بأى ذنب قتلت ﴾ (التكوير ٨ ، ٩)

حق الميراث والتكسب

لم يكن حق المرأة فى الإرث معينا ثابتـا ، سواء أكانت أما ، أم أختا أم زوجة أم بنتا ، ولا حقـها فى الكسب والتصرف بما تملك مقررا ثابتا ، بل كان هذا وذاك مـتموجا حسب الظروف ، وكثيرا ما كانت تحرم منه .

وقد قرر الإسـلام للمرأة حق التملك والإرث وسـائر الحقوق المادية والمعنويـة ، ورد إليها اعتبـارها ، ونزلت سـورة كاملة تسمـى سورة النساء ، وتـسمى أيضـا سورة النساء الـكبرى تمييزا لها عن سورة النساء الصغرى « سورة الطلاق » .

وتحتـوى سورة النساء الكبـرى على ١٧٦ آية فيـها أحكام النساء وحـقوقهن وواجـباتهن وكثـير ممـا يتعلق بهن ، وورد مثل ذلك فى سورة الأحزاب وســورة النور وسورة المجادلة ، وسورة البقـرة ، وكثير من سور القـرآن الكريم ، وفضلا عن أنهـا تشـارك الرجل في جـمـيـع الأحكام والأوامـر والنواهي والوصـايا والآداب التى جاءت فى الـقرآن الكريم ، فالأصل في كل خطاب خـوطب به الإنســان أو الرجل أو المــؤمنون أنه يتناول نظيـرة من الإناث وهناك خصـائص تميز بـها الرجل ، وخصــائص تميزت بها المـرأة ، رعاها الإسلام ، ونص عليـها القـرآن ، ولكن الأسـاس الذى انبثـقت منه الأحكام هو وحـدة الأصل ووحـدة التـكليف ووحـدة الجــزاء . وفي أول ســورة النساء يقول الحق سبحانه :

﴿ يا أيهـا الناس اتقـوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحـدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجـالا كثيرا ونسـاء ، واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكَم رقيبا ﴾ .

مـــع الإســـــلام

كرّم القرآن إنسانيـة الإنسان ، حيث وضـح أن الله خلق آدم بيده ، ونفخ فيـه من روحه وأسجد له الملائكة ومـيزه بالعقل وبالفكر قال تعالى : ﴿ ولقد كـرمن بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا ﴾ (الإسراء : ٧٠) .

وقد خلق الله حـواء لتكون لآدم سكنا وأمنا ، ولتكتمل بهـما أمور الحيـاة . وكما نجد الحاجـة ضرورية إلى الليل والنهار ، والظلام والنور والأرض والسـماء ، والطعام والمـاء . نجد أن الحياة لا تسـتغنى عن الذكر والأنثى . فلكل منهما خـصائصه ومقوماته وطبيعتـه التى خلقه الله عليها . قال تعالى : ﴿ والليل إذا يغـشى ، والنهـار إذا تجلى ، ومـا خلق الذكـر والأنثى ، إن سعيكم لشتى ﴾ (الليل : ١ ـ ٤) .

كانت المـرأة قبل الإسلام مـهينة فى بعض المـجتمـعات ، متهمة بأنها رجس من وسائل الشيطان ، وكان الفكر المسيحى يعتبرها رأس الشر والفـساد والخطيئة ، استنادا إلى أن ابليس قـد امـتنع عليـه آدم لـمـا أراد اغـواءه بالأكل من الشـجـرة ، فانـصرف عنه إلى حـواء ، فاسـتمـعت له وللحّيـة فأغـواياها وحرضـها ، وامتثلت فأكلت من الشجرة التى حرمها الله عليهما فى الجنة ، ولم تزل بآدم تـحرضـه وتغـويه حتى أكـل مثلهـا فنكشفت عورتهما ، وارتكبا الخطيئة ، وحواء هى السبب . جاء فى التوراة ، قال الله لآدم :

« هل أكلت من الشـجـرة التى أوصيـتك أن لا تـأكل منهـا ؟ فقال آدم: المرأة التى جعلتها معى أعطتنى من الشجرة فأكلت،

فقال الرب الاله للمرأة : ما هذا الذى فعلت ؟.. الخ » سفر التكوين ٣ : ١١ ـ ١٣ .

وعلى ذلك الرأى كان لابد من تعميد الكنيسة للمواليد على أثر ميلادهم ، لا زالة أثر هذا الإثم المتوارث المهلك لأرواحهم ، والذى يحول بينهم وبين ملكوت الله ، يقول حبيب جرجس عميد الكلية الاكليريكية بمصر سابقا:«والمعمودية ضرورية للخلاص وبدونها لا يخلص أحد ، لأن السيد المسيح قال : «من أمن واعتمد خلص ، ومن لم يؤمن يدن » مرقص ١٦:٦[(١)]

أما الفكر الإسلامى فإنه يعتبر آدم وحواء على قدم المساواة أمام مسئولية الأكل من الشجرة ، لظاهر قوله تعالى: ﴿ فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة ، وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين ؟ قالا ربنا ظلمنا أنفسنا ، وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين﴾ (الاعراف : ٢٢ ـ ٢٣) .

لقد كّرم الإسلام المرأة وليدة وفتاة وزوجة وأماً وجعل الجنة تحت أقدام الأمهات ، وذكر القرآن عددا من النساء كان لهن دور بارز في تاريخ البشرية مثل حواء و وأم موسى ، وأخته ، وزوجته ، وزوجة فرعون ، وبلقيس ملكة سبأ ، ومريم بنت عمران ، وزوجة عزيز مصر التى راودت يوسف عن نفسه . كما حفلت آيات القرآن بآجابة عن أسئلة النساء أو حل لمشاكلهن . فسورة المجادلة نزلت حلا لمشكلة امرأة ظاهر منها زوجها وقال لها أنت على كظهر أمى ، وبدئت بهذه

---

(١) خلاصة الاصول الإيمانية فى معتقدات الكنيسة القبطية الأرثوذكسية ص ٧٦ .

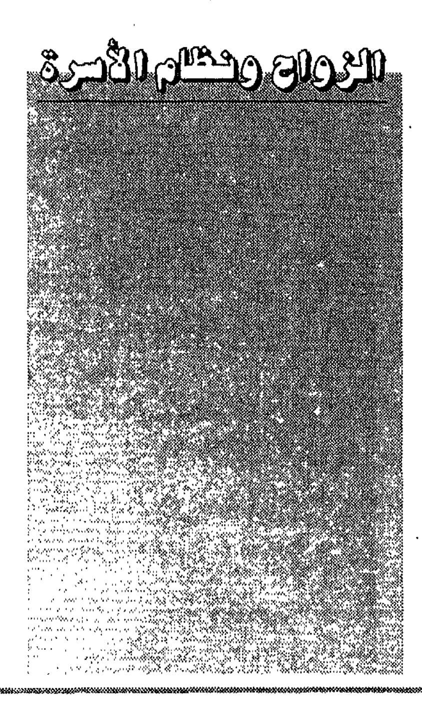
الافـتتـاحيـة : ﴿ قد سـمـع الله قول التى تجـادلك فى زوجهـا وتشـتكـى إلى الله ، والله يسـمـع تحـاوركـمـا أن الله سـمـيع بصير ﴾

وقد نزلت من القـرآن آيات فى عدد من النساء ، كـمـا نزلت آيات فى عـدد من الرجـال . وصـدق الله العـظيم ﴿ من عـمل صـالحاً من ذكـر أو أنثى وهو مـؤمن فلنحـيينه حـيـاة طيبـة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ﴾ (النحل : ٩٧)



الباب الأول

الزواج ونظام الأسرة



الزواج ونظام الأسرة

الزواج هو الطريق السليم لبناء الأسرة ، وإشباع العاطفة ، ورعاية النشء ، وتعاون الزوج والزوجة ، وإشباع المطالب النفسية والبيولوجية والمادية والمعنوية للزوج والزوجة .

وقد حث الإسلام على الزواج لأنه صمام الأمان ، وباب من أبواب العصمة من الرذيلة ، والبعد عن الفحشاء والمنكر . قال تعالى : ﴿ وأنكحوا الأيامى منكم ، والصالحين من عبادكم وامائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم ﴾ (سورة النور : ٣٢)

والأيامى جميع أيم وهو كل رجل لا زوجة له وكل امرأة لا زوج لها بكرا كانت أم ثيبا . جاء فى ظلال القرآن :

« ونحن نرى أن الأمر هنا للوجوب ، لا بمعنى أن يجبر الأمام الأيامى على الزواج ، ولكن بمعنى أنه يتعين إعانة الراغبين منهم فى الزواج ، وتمكينهم من الاحصان ، بوصفه وسيلة من وسائل الوقاية العملية ، وتطهير المجتمع الإسلامى من الفاحشة ، وهو واجب ووسيلة الواجب واجب » (١)

وقد امتن الله على عباده بنعمة الألفة والمودة بين الزوجين،

---

(١) فى ظلال القرآن ، سيد قطب ، مجلد ٤ ص ٢٥١٥

حتى يتحملا شظف العيش ، وآلام الحياة وآمالها ، في سعادة وتعاون ، قال تعالى : ﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة ، إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾ (سورة الروم : ٢١)

وقال تعالى : ﴿ والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات ، أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله هم يكفرون ﴾ (سورك النحل ٧٢)

الزواج فى السنة :

حث الرسول ﷺ أصحابه على الزواج وجعل الزواج عبادة مثل الصلاة والصيام والصدقة ، لأن فيه اعفاف زوجة ، وتكوين أسرة، ورعاية ذرية، وتسابق الأسر إلى تربية أبنائها وبناتها، وتوريثهم المعارف والآداب . والميراث المادى والمعنوى.

١ - روى البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى عن عبد الله قال : « سمعت رسول الله ﷺ يقول : يا معشر الشباب من استطاع منك الباءة[1] فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج . ومن لم يستطع فعليه بالصوم ، فإنه له وجاء[2]» .

٢ - وروى البخارى ومسلم والترمذى عن أنس قال : « جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبى ﷺ يسألون عن عبادته فلما اخبروا قالوا : وأين نحن من النبى ، قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، فقال أحدهم أما أنا فانى اصلى

---

(١) اختلف العلماء في المراد بالباءة ، فقيل المراد بها الجماع ، وتقدير الكلام ، من استطاع منك الجماع لقدرته على تكاليف الزواج فليتزوج . وقال آخرون ، أوجه تفسيرات الباءة : القدرة على تكاليف الزواج .

(٢) قاطع لثوران الشهوة .

الليل ابدا . وقال آخر أنا أصـوم الدهر ولا أفطر ، وقال آخر أنا أعتزل النساء فلا اتزوج أبدا ، فجـاء رسول الله اليهم فقال أنتم الذين قلتم كـذا وكذا ، أما والله إنّـى لأخشاكم لله وأتقـاكم له ، لكنى أصـوم وأفطر وأصلى وأرقـد وأتزوج النساء فـمن رغب عن سنتى فليس منى » .

٣ – وروى الترمذى والنسائى والحاكم عن النبى ﷺ قال : « ثالثة حق على الله عـونهم ، المكاتب الذى يريد الأداء والناكح الذى يريد العفاف ، والمجاهد فى سبيل الله » .

صفة الزواج الشرعية :

إذا كان المرء قادرا على مطالب الـزواج المالية بثروة فى يده أو عمل يقدر عليه ، معتدل الطبيعة البشـرية ، واثقا من اقامة العدل مع الزوجـة ، كان الزواج سنة مؤكدة ، يثاب عـليه متى نوى به تحصين النفس وتحصيل الولد والالتزام بحدود الله .

الزواج أم التفرغ للعبادة :

أيهـمـا احب إلى الله عنـد التـعـارض ؟ الزواج أم التـفـرغ للعبادة؟ نقل عن الشـافعى رحمه الله أن التفـرغ للعبادة أحب ، ونقل عن غيره أن الزواج أفضل .

قال صاحب الفتح « ج٢ ص٣٤٣ » : « ومن تأمل ما يشتمل عليه النكاح من تهذيب الأخلاق ، وتوسـعة الباطن بالتحمل فى معاشـرة أبناء النوع ، وتربية الولد ، والقيام بمـصالح المسلم العاجز عن القـيام بها ، والنفقـة على الأقارب والمستضـعفين واعفاف الحـرم ونفسه ودفع الفتنة عنه وعنهن ودفع التقـتير عنهن . لحبسـهن لكفايتهن مؤنة سبب الخروج ، ثـم الاشتغال بتأديـب نفسه ، وتأهـيلها للعـبودية ولتكون هى أيضـا سبـبا

لتأهيل وغيرها وأمرها بالصلاة فإن هذه الفرائض كثيرة ـ لم يكد يقف عن الجزم بأن الزواج أفضل من التخلى للعبادة » .

هذه صفة الزواج فى حالة الاعتدال . فإذا كان المرء قادراً على مطالب الزواج المالية ، واثقاً من اقامة العدل فى معاملة الزوجة ، ولكنه يخشى الوقوع فى الزنا لو لم يتزوج ، كان الزواج واجباً ، فإن تحقق الوقوع فى الزنا لو لم يتزوج كان الزواج فرضا .

اختيار الزوجة :

الزوجة شريكة الحياة ، ورفيقة العمر ، ورئيسة البيت وعماد نظامه ومبعث سعادته ، فإذا كانت صالحة أقامته على نظام وطيد ، وبثت فيه روح الخير وملأته بأسباب السعادة وعنيت بتربية أولادها ، فبثت فيهم كل خلق حميد ، وعودتهم كل عادة حسنة ، وجنبتهم سئ الأخلاق وقبيح العادات ، وإذا كانت فاسدة بذرت فى البيت بذور الفساد ، وزودت ابناءها للحياة بأسوأ زاد ، فكان لزاماً أن يعنى الزوج باختيار زوجه. قال ﷺ « تخيروا لنطفكم وانكحوا الاكفاء» [1] . وامتن أبو الأسود الدؤلى على بنيه باختياره أمهم عفيفة كريمة الخلق ، إذ قال لهم ، لقد أحسنت إليكم صغاراً وكباراً وقبل أن تولدوا ، قالوا : كيف أحسنت الينا قبل أن نولد ؟ قال اخترت لكم من الأمهات من لا تسبّون بها ، وأنشد الرياشئ فى هذا المعنى :

وأول إحسانى اليكم تخيرى   لماجدة الأعراق باد عفافها

ومن أهم ما ينبغى أن يراعى فى الزوجة ما يأتى :

١ – أن تكون من الصالحات ذوات الدين والخلق ، لتكون

(١) فتح البارى .

أمينة عفيفة حسنة العشرة ، فعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « تنكح المرأة لأربع : لمالها ، ولحسبها ، ولجمالها ، ولدينها ، فاظفر بذات الدين والخلق تربت يداك»[1].

٢ - والمراد بذات الدين صاحبة السلوك الحسن والأخلاق الكريمة والخلال الطيبة التى تحافظ على نفسها وبيتها وأسرتها وتتمتع بالمثل العليا والعفة والمروءة ومكارم الأخلاق . فالدين جماع المكارم وأساس الفضائل .

قال بعض العرب ، لا تنكحوا من النساء سته :

لا انانة ولا منانة ، ولا حنانة ، ولا تنكحوا حداقة ولا براقة ولا شداقة .

أما الأنانة : فى التى تكثر الأنين والتشكى وتعصب رأسها كل ساعة ، فنكاح الممراضة أو نكاح المتمارضة لا خير فيه .

والمنانة التى تمن على زوجها ، فتقول فعلت لأجلك كذا وكذا.

والحنانة التى تحن إلى زوج آخر ، أو ولدها من زوج آخر ، وهذا أيضا مما يجب اجتنابه .

والحداقة التى ترمى إلى كل شئ بحدقتها ، فتشتهيه وتكلف الزوج شراءه .

والبراقة التى تضيع النهار فى تصقيل وجهها وتزينه ، ليكون لوجهها بريق محصل بالصنع .

والشداقة ، المتشدقة الكثيرة الكلام ، ومنه قوله عليه الصلاة والسلام : « إن الله تعالى يبغض الثرثارين المتشدقين »[2] .

---

(١) متفق عليه ، وأورده الغزالى فى الإحياء فى كتاب آداب النكاح (ص٧١٨) .

(١) رواه أبو داود والترمذى وحسنه ، وانظر الإحياء للغزالى .

٣ – ينبغى اختيار الزوجة من أصل طيب ومعدن كريم وأسرة معروفة بحسن السمعة والأخلاق الفاضلة . روى البخارى فى صحيحه أن رسول الله ﷺ قال : « الناس معادن خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الإسلام إذا فقهوا » .

وليس المراد بالأسرة الكريمة : الثراء والغنى والوجاهة ، إنما المراد حسن السيرة والتمسك بالفضائل والبعد عن الشبهات والمحرمات .

قال ﷺ : « تزوجوا فى الحجر الصالح فان العرق دساس»[1] . وعن أنس أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « من أراد أن يلقى الله طاهراً مطهراً فيتزوج الحرائر »[2] وعن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « خير نساء ركبن الأبل صالح نساء قريش ، أحناه[3] على ولد فى صغره وأرعاه على زوج فى ذات يده »[4] .

وروى أن أكثم بن صيفى قال لأولاده : يا بنى ، لا يحملنكم جمال النساء عن صراحة النسب ، فإن المناكح الكريمة مدرجه للشرْف .

٤ – ينبغى أن تكون الزوجة على قدر من الجمال وحسن الوجه لتحصل بها العفة ، ويتم الإحصان وتسعد النفس ، وقد كره الفقهاء ذات الجمال الباهر لأنها تزهى بجمالها ، ومن فضل الله أن الجمال أمر نسبى ، وأن الملاحة والمحبة تختلف

(١) أصول التشريع الإسلامى للأستاذ على حسب الله ص ٨ نقلا عن الإحياء للغزالى جـ٢ ص ٢٨ .
(٢) الترغيب والترهيب جـ٣ ص ٥ .
(٣) كثيرة الحنو على الأطفال .
(٤) ذات يده : ماله (فتح البارى ٩/٩٩) .

باختلاف الأفراد ، حتى يقترن كل زوج بما يناسبه .

وقد ورد فى النصوص الحث على تزوج ذات الدين ، وألا يكون تزوج المرأة لجمالها وحده ، مع فساد دينها .

قال أبو حامد الغزالى فى الإحياء :

« فأما من أراد من الزوجة مجرد السنة أو الولد أو تدبير المنزل فلو رغب عن الجمال فهو إلى الزهد أقرب . وقد كان مالك بن دينار يقول : يترك أحدكم أن يتزوج يتيمة فيؤجر فيها، إن أطعمها وكساها تكون خفيفة المؤنة ترضى باليسير ، ويتزوج بنت فلان وفلان من أبناء الدنيا فتشتهى عليه الشهوات ، وتقول اكسنى كذا وكذا ، واختار أحمد بن حنبل عوراء على أختها ، وكانت أختها جميلة ، فسأل من أعقلهما ﷺ فقيل العوراء ، فقال زوجونى إياها ، فهذا دأب من لم يقصد التمتع . فأما من لا يأمن على دينه ما لم يكن له مستمتع فليطلب الجمال ، فالتلذذ بالمباح حصن للدين .

وقد قيل : إذا كانت المرأة حسناء ، خيرة الأخلاق ، سوداء الحدقة والشعر ، كبيرة العين ، بيضاء اللون ، محبة لزوجها ، قاصرة الطرف عليه ، فهى على صورة الحور العين ، فإن الله تعالى وصف نساء أهل الجنة بهذه الصفة فى قوله ﴿فيهن خيرات حسان﴾ (الرحمن : ٧٠) ، أراد بالخيرات حسنات الأخلاق . وفى قوله : ﴿قاصرات الطرف﴾ (الرحمن : ٥٦) ، وفى قوله ﴿عربا أترابا﴾ العروب هى العاشقة المشتهية للوقاع، وبه تتم اللذة ، والحور البياض ، والحوراء شديدة بياض العين شديدة سوادها فى سواد الشعر ، والعيناء الواسعة العين .

وروى النسائى وأحمد وأبو داود بسند صحيح عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال : « خير نسائكم ، من إذا نظر إليها زوجها سرته ، وإذا أمرها أطاعته ، وإذا غاب عنها حفظته فى نفسها وماله » .

٥ – ومن يمن المرأة خفة مهرها ، وتسهيل أمرها وقلة صداقها ، وقد ورد النهى عن المغالاة فى المهور . وكان عمر رضى الله عنه ينهى عن المغالاة فى الصداق . ويقول ما تزوج رسول الله ﷺ ولا زوج بناته باكثر من أربعمائة درهم ، وقد جرى العرف فى هذا الزمن أن يتعاون الزوج والزوجة فى تأثيث المنزل ، وشراء لوازم الزوجية ، وهو أمر حسن يسوغه ارتفاع أثمان جهاز العروس . فينبغى أن يساهم كل طرف بما يتيسر عليه ، وأن يتعاون العروسان كل بحسب قدرته ويساره ، وبدون طمع أو جشع أو أنانية أو هروب من المسئولية .

وقد زوج سعيد بن المسيب ابنته من أبى وداعة على درهمين ، ثم حملها هو إليه ليلا ، فأدخلها سعيد من الباب ، ثم انصرف ، ثم جاءها بعد سبعة أيام فسلم عليها .

وروى أحمد والبيهقى بسند جيد من حديث عائشة رضى الله عنها : « من يمن المرأة أن تتيسر خطبتها ، وأن يتيسر صداقها ، وأن يتيسير رحمها » يعنى الولادة .

٦ – ينبغى أن تكون الزوجة بكراً ، لتكون المحبة بين الزوجين أقوى والصلة أوثق والطباع مجبولة على الأنس بأول مألوف ، وأما التى اختبرت الرجال ، وما رست الأحوال فربما لا ترضى بعض الأوصاف التى تخالف ما ألفته ، فتقل الزوج.

ومن يمن البكر أنها لا تحن إلى الزوج السابق ، وآكد الحب ما يقع مع الحبيب الأول غالباً ، قال الشاعر :

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى
ما الحب إلا للحبيب الأول
كم منزل في الأرض يعشقه الفتى
وحنينه أبدا لأول منزل

٧ - ينبغى ألا تكون الزوجة من القرابة القريبة ، لأن ذلك يقلل الرغبة فى الطرف الآخر ، « فإن الشهوة إنما تنبعث بقوة الإحساس بالنظر واللمس ، وإنما يقوى الاحساس بالأمر الغريب الجديد ، فأما المعهود الذى دام النظر إليه مدة فانه يضعف الحس عن تمام ادراكه والتاثر به ولا تنبعث به الشهوة»[١] .

وقد كانوا يستحبون تزوج البعيدات ويرون ذلك أنجب للولد ، وأقوى للبدن ، وأبهى للخلقة ، فعن عمر بن الخطاب أنه قال لبنى السائب ، قد ضويتم[٢] فانكحوا فى الغرائب ، وعن الأصمعى بنات العم أصبر ، والغرائب أنجب ، وما ضرب رؤوس الأبطال كابن الأعجمية »[٣] .

(١) الإحياء للغزالى ص ٧٢٥ .
(٢) هزلتم وضعفتم .
(٣) عيون المسائل الشرعية للأستاذ على حسب الله ، ص ٩ .

حقوق الزوجين

حقـــوق الزوجـــة

١ـ المهــــــر

٢ـ النفقــــة

يترتـب على الزواج الصحـيح . حقـوق للزوجة ، وحـقـوق للزوج ، وحقوق مشتركة بينهما .

فحقوق الزوجة : المهر ، والنفقة .

وحـقـوق الـزوج ، الطاعـة ، والقـرار فى الـبـيت ، وولاية التأديب.

والحقوق المشتركة بينهما وهى :

(أ) حق استمتاع كل منهما بالآخر .

(ب) حسن العشرة .

وسوف نتناول هذه الأمور بشىء من التفصيل إن شاء الله .

١ـ المهــــــر

تعـريف المهــر :

يقال لغة (مهرت المرأة) أى أعطيتها المهر ، وللمهر أسماء منهـا : الصداق والصـدقـة ، والنحلة ، والأجـر ، والفريضــة ، والعُقر .

والمهر شرعا ما أوجبه الشارع من المال بالزواج حقا للمرأة على الرجل فى مقابل ملك استمتاعه بها . ويذكر بعض الفقهاء أن المهر وجب على الرجل فى مقابل الانتفاع بالبضع وذلك لإظهار شرف المحل وخطره . وعلماء التفسير يرون أن المهر ليس ثمنا للبضع ولا شراء له ، لأن الانتفاع متبادل بين المرأة والرجل ، ولأن الزواج يحل لكل منهما الاستمتاع بالآخر. ولكن الله أوجب الصداق على الرجل ليكون دليل صدقه وقدرته على رعاية المرأة والانفاق عليها .

قال الشيخ حسن خالد :

(لقد شرع الله المهر على أنه عطاء مقرر من الرجل للمرأة، وهدية لازمه ، وليس بدلاً كالثمن للسلعة ، والأجر للمنفعة ، قال تعالى : ﴿ وآتوا النساء صدقاتهن نحلة ﴾ أى هدية وعطاء، والمهر هدية لازمة على التراخى وليس على الفور ، وهو على الرجل دون المرأة ، لأن الوضع الطبيعى لكل منهما ، أن الرجل هو الذى يكسب فكان طبيعيا أن تكون التكاليف المالية عليه، ومن ضمنها هدايا الزواج ، وهو يقدم هذا العطاء فى مطلع الحياة الزوجية لامرأته وشريكة حياته، ليكون تعبيراً مادياً عن مودته وإخلاصه وبره ، فضلاً عن أن الزواج يكلف المرأة كثيراً من الأموال ، فكان لزاماً على الرجل أن يقدم لها ما يعينها فى ذلك ، فأوجب الله المهر على الرجل[1].

والمهر أثر من آثار العقد، وليس ركناً من أركانه، ولا شرطاً من شروطه ، ولا ضرر فى السكوت عنه ، عند العقد لسهولة الإحتكام حينئذ إلى مهر المثل.

---

(١) أحكام الأحوال الشخصية فى الشريعة الإسلامية، تاليف الشيخ حسن خالد والدكتور عدنان نجا، بيروت ١٩٦٤، ص ٩١.

مهـر المثـل :

هو مهـر إمرأة من قـوم أبى الزوجة ، كـأختـها وعـمتـها نماثلها فيما يعتد به من صفات الزوجة : من السن ، والجمال والمال ، والدين ، والأدب ، والعقل والعلم ، والبكارة أو الثيوب ومـا إلى ذلك ، ويراعى مع هذا حـال الزوج ، فـان ذا الفـضل يرغب فيه ، فيتسامح معه فى المهر .

نيـل الأوطـار :

جاء فى كـتاب نيل الأوطار للشـوكانى ، الجـزء السادس صفحة ١٧٢ ما يأتي:

«روى فى الأثر أن سـائلاً سأل عـبدالله بن مـسعـود ، عن إمرأة توفى عنها زوجـها ولم يكن قد فرض لها شيـئاً ، فجعل يرده شهـراً : ثم قال له : « أقول فـيه برأيى ، فـان يك صواباً فمن الله ورسوله وان يكن خطأ فمن ابن أم عبد ، أرى لها مهر مثلها لا وكس ولا شطط» ، فقام رجلان وقالا نشهد أن رسول الله ﷺ قضى فى إمرأة يقال لها يروع بنت واثق بمثل قضيتك هذه ، فـسر ابن مـسعـود رضى الله عنه سروراً لم يسـر قط مثله بعد اسلامه ، لأن قضاءه قد وافق قضاء رسول الله صلى الله عليـه وسلم» . وفى رواية أنه لم يكن قـد دخل بهـا وأن عبدالله ابن مـسعود قد حكم لها زيادة على مهـر مثلها بالإرث وأوجب عليها العدة.

وجـوب المهـر :

والمهر واجب على الرجل لزوجته بمـجرد العقد الصحيح ، دخل بهـا أم لا ، واختـلى بها خلوة صـحـيحـة أو لم يخـتل ، وسواء سمى لها مهراً أو لم يسم ، قال تعالى : ﴿ وآتوا النساء

صدقاتهن نحلة﴾ (سورة النساء : ٤) .

وقال سبحانه : ﴿ وأحل لكم ما وراء ذلكم أن تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين، فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة إن الله كان عليما حكيماً ﴾ (سورة النساء : ٢٤)

مقدار المهر :

تحديد أقل المهر مختلف فيه بين العلماء ، فعن سعيد بن جبير أقله خمسون درهماً ، وقيل أقله أربعون درهماً ، وعن مالك أقله ربع ـ دينار ، وعن أبى حنيفة وأصحابه أقله عشرة دراهم .

وذهب سفيان الثورى واسحاق وأحمد والشافعى إلى أن أقله كل ما يصلح ثمناً أو أجرة، ولا حد لأقل المهر عندهم وروح الشريعة تؤيدهم فقد أمر القرآن بتيسير الزواج ومساعدة المحتاجين على اتمامه قال تعالى : ﴿ أنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم أن يكونوا فقراء يغنيهم الله من فضله والله واسع عليم ﴾ (سورة النور : ٣٢)

وروى البخارى عن سهل بن سعد أن امرأة جاءت إلى النبى ﷺ فقالت يارسول الله إنى قد وهبت نفسى لك فقامت قياماً طويلا، فقال رجل يارسول الله، زوجنيها إن لم يكن لك بها حاجة ، فقال ﷺ ، (هل عندك من شئ تصدقها اياه؟) فقال : ما عندى إلا إزارى هذا . فقال ﷺ (ان أعطيتها ازارك جلست لا إزار لك فالتمس شيئاً) فقال : ما أجد شيئا : فقال ﷺ (التمس ولو خاتماً من حديد) فالتمس فلم يجد شيئاً . قال ﷺ: (هل معك من القرآن شئ ؟) قال : نعم سورة كذا وسورة كذا ،

وسمى سورا . فقال ﷺ : (ملّكْتُكَــها بما معك من القرآن) وفى بعض طرق الحــديث الصحــيحــة (زوجتكهــا) وفى بعضــها : (فعلمها القرآن).

وروى أن رسول الله ﷺ قال : (إذا أتاكم من ترضون دينه وأمــانته فــزوجوه ، الا تفــعلوا تكن فــتنة فى الأرض وفســاد كبير).

أكثــر المهــر :

وأكثر المهر لا حد له باتفاق الفقهاء ، فليس للمهر حد أعلى عند الجــمــيع ، روى أن عــمر بن الخــطاب رضــى الله عنه رأى بعض الناس يغــالون فى مــهور بناتهن فــأراد منعــهم من ذلك فنهى أن يزاد فى المهر على أربعمائة درهم، وخطب فى الناس قائلاً : (لا تغالوا فى صدقات النساء، فإنها لو كانت مكرمة فى الدنيا أو تقــوى عند الله لكان أولاكم بها رســول الله صلى الله عليه وسلم، ما أصدق قط امرأة من نسائه ولا بناته فوق اثنتى عشرة أوقية (أى من الفضــة) . فمن زاد فى المهر على أربعين أوقية (أربعمائة درهم) شيئا جعلت الزيادة فى بيت المال) .

ثم نزل عمر من على المنبر فقالت امرأة من قريش ليس ذلك إليك ياعمــر ، فقال : ولم ؟ قالت لأن الله تعــالى يقول : ﴿ وإن أردتم اســتــبدال زوج مكان زوج وآتيــتم إحــداهن قنطاراً فــلا تأخــذوا منه شيــئا ، أتــأخذونه بهــتاناً وإثــماً مــبيناً ، وكــيف تأخذونه وقــد أفضى بعضكم إلى بعض وأخــذن منكم ميثــاقاً غليظاً﴾ (سورة النساء : ٢٠ ، ٢١) .

فقال عــمر : اللهم عفواً ، كل الناس أفقــه من عمر . ثم رجع إلى المنبــر وقال : (انى كنت نــهيــتكم أن تزيدوا فى صدقــات النســاء عــلى أربعمــائة درهم فــمــن شــاء أن يعطى من مالــه ما أحب).

وروح الشريعة تميل إلى تيسير المهور وعدم المغالاة فيها حتى لا يسد باب الزواج على الراغبين فيه.

وقد حث النبى ﷺ على عدم المغالاة فى المهور وفى الحديث الشريف (إن أعظم النكاح بركة أيسره مؤنة) . وفى الحديث أيضا : (إن من يمن المرأة تيسير خطبتها وتيسير صداقها) .

قال الأستاذ على حسب الله : وإنما اعترف عمر رضى الله عنه بالخطأ حتى قيل أن امرأة خاصمت عمر فخصمته أى انتصرت عليه ، لأنه أراد أن يلزم الناس بالوقوف عند حد محدود فى المهر ، ولو أنه اراد أن يرشدهم إلى ماهو أحب من غير الزام ما رجع عن قوله ، ولا خصمته المرأة ، فما كان لعمر أن يرجع عن قول يوافق مادعا إليه الرسول صلى الله عليه وسلم[١].

تعجيل المهر وتأجيله :

المهر من الحقوق المالية : يصح تعجيله كله وتأجيله كله ، وتعجيل بعضه ، وتأجيل بعضه الآخر ، إلى أجل قريب أو بعيد، ويصح جعله أقساط متساوية أو متفاوتة : تؤدى فى مواعيد معينة .

فإذا كان هناك اتفاق على شئ من ذلك عمل به ، وإلا اتبع فى كل بلد ما جرى به العرف فيه، فالمعروف عرفا كالمشروط شرطا.

وجاء فى كتاب احكام الأحوال الشخصية فى الشريعة

---

(١) عيون المسائل الشرعية فى الأحوال الشخصية للأستاذ على حسب الله. الطبعة الثانية سنة ١٩٥٠ ص ٨٩.

الاسلامية ، الجزء الأول ، للاستاذ أحمد إبراهيم إبراهيم المؤلف سنة ١٩٢٥م.

«الفقرة ١٦٧ ـ ويصح أن يتفق الزوجان على تعجيل المهر كله أو تأجيله كله إلى أجل قريب أو بعيد ، وتعجيل بعضه وتأجيل بعضه الآخر على حسب العرف، وذلك يختلف باختلاف البلاد، وقد حكى صاحب الفتح أن أهالى خوارزم يؤجلون كل المهر ، والمتعارف عندنا فى القاهرة تعجيل الثلثين وتأخير الثلث إلى الوفاة أو الطلاق ، وقد يعجل النصف ويؤجل النصف فى بعض البلاد الأخرى كذلك ، وقد يقسط المهر على أقساط تؤدى فى مواعيد معينة بحسب الاتفاق، وبالجملة إن كان شرطا فى ذلك اتبع الشرط وإلا اتبع العرف ، ومن المقرر أن المعروف عرفا كالمشروط شرطا .

٢ـ النفقة

النفقة هى الحق الثانى من حقوق الزوجة المترتبة على العقد الصحيح .

والنفقة فى اللغة الاخراج ، يقال نفقت الدابة إذا خرجت من ملك صاحبها بالبيع ، والمصدر النفوق كالدخول ، بمعنى الهلاك أو الرواح أو الخروج ، والذهاب ، والنفقة اسم مصدر ، وفى اصطلاح الفقهاء: هى اسم للشئ الذى ينفقه الانسان على عياله وزوجته وأقاربه ومملوكه ، ويشمل الطعام والكسوة والسكن ، وهى حق واجب للزوجة على الزوج لقوله سبحانه : ﴿ أسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم ولا تضاروهنّ لتضيقوا عليهن ، وإن كنّ أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى

يضعن حملهن فإن أرضعن لكم فآتوهن أجورهن، واتمروا بينكم بمعروف ، وان تعاسرتم فسترضع له أخرى ، لينفق ذو سعة من سعته ، ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله ، لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاها سيجعل الله بعد عسر يسرا﴾ (سورة الطلاق : ٦ ، ٧) . وقال عز شأنه : ﴿ والوالدات يرضعن أولادهنّ حولين كاملين لمن أراد أن يتمّ الرضاعة ، وعلى المولود له رزقهنّ وكسوتهنّ بالمعروف ﴾ (سورة البقرة : ٢٢٣).

وروى مسلم فى صحيحه أن رسول الله ﷺ قال : (اتقوا الله فى النساء فانكم أخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله ، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف).

وروى البخارى ومسلم : «أن هندا بنت عتبة زوج أبى سفيان قالت : يارسول اله إنّ أبا سفيان رجل شحيح لا يعطينى من النفقة ما يكفينى ويكفى بنى ، إلا ما آخذ من ماله بغير علم، فقال ﷺ : خذى من ماله بالمعروف ما يكفيك ويكفى بنيك»[1].

وروى أن رجلا جاء إلى النبى ﷺ فقال : «ما حق المرأة على زوجها ، فقال له ﷺ : يطعمها إذا طعم ويكسوها إذا كسي، ولا يهجرها فى المبيت ، ولا يضربها ولا يقبّح».

حكمة وجوب النفقة على الزوج:

يقتضى عقد الزواج أن تكون الزوجة محبوسة لحق الزوج، ومحرمة على غيره، لتقوم بالمقصود من الحياة الزوجية ، من حفظ النسل وتربية الولد ورعاية شئون البيت.

---

(١) فتح القدير ٣/ ٣٢١.

«والمتفق عليه أن من حبس لحق غيره فنفقته واجبة عليه، فالقاضى والعامل والموظف وكل عامل فى الدولة وغيرها نفقاتهم واجبة على من حبسوا لهم، ولما كانت الزوجة قد حبست نفسها للاشراف على البيت والقيام بأعبائه ، فقد وجبت لها النفقة على الزوج جزاء هذا الاحتباس»[1] ، فقيرة كانت أم غنية ، مسلمة أم كتابية . ويجب على الزوج وقد أعده الله لحماية الأسرة ورعايتها وحمل أعبائها أن يكفيها مئونة السعى لكسب قوتها لتتفرغ لأداء واجبها على الوجه الأكمل.

عمل الزوجة :

الأصل فى الحياة أن يكدح الرجل ، وأن يتحمل نفقة الأسرة ورعايتها ، كما أن المرأة انسان رقيق العاطفة ، قادر على العطف والحنان ورعاية الذرية وادارة شئون البيت ، هذا هو الأعم الأغلب ، وهو ما تقتضيه الفطرة. وفى تقديرى أن الدعوة الاسلامية فى بداية انتشارها، صاحبها نهضة تعليمية وتثقيفية للرجال والنساء، وفى الحديث الشريف، أن النساء قالت للنبى صلى الله عليه وسلم: غلبك علينا الرجال فاجعل لنا يوما ولهم يوما، فجعل للنساء يوما معلوما يذهب فيه اليهن ليعظهن ويعلمهن.

وعرفنا عددا وفيرا من راويات الحديث ، والعارفات بشئون الدين والأدب وغير ذلك من المعارف.

وظل تعليم الرجال والنساء فى تقدم وازدهار. فكانت المدارس والمجالس للتعليم والتعليم، ثم مرت بالمسلمين

(١) فتح القدير ٣/ ٣٢١.

قرون سوداء ساد فيها الجهل والظلام، وسادت دعوة إلى عدم تعليم المرأة.

وفى العصر الحديث انتشر التعليم بين البنين والبنات، وحصلت الإناث على أرقى مراحل التعليم، وشغلت المرأة العديد من الوظائف.

وترتب على عمل المرأة هذا التساؤل :

إذا كانت نفقة المرأة على الرجل ، فكيف نعمل إذا كانت المرأة تعمل وتتقاضى راتبا من عملها ، أو ربحا من تجارتها؟

وأرى أن الحياة الزوجية تقوم على التعاون والتكافل ، وأن يد الله على الشريكين مالم يخونا، فإذا خانا رفعت البركة عنهما. فالزواج شركة يتعاون فيها الزوجان، ويقدم كل واحد منهما للأسرة ثمرة جهده وصافى مرتبه، وحصيلة سعيه. ولا مانع أن تحتفظ المرأة لنفسها بجزء من مرتبها ، وأن تقدم جزءا منه للمنزل جزاء السماح لها بالعمل وترك المنزل. وقد جرى العرف على هذا التعاون بين الزوجين فى مواجهة أعباء الحياة.

جاء فى كتاب «عيون المسائل الشرعية» للأستاذ على حسب الله، نقلا عن ابن عابدين ٢/ ٦٦٥ ما يأتي:

«وإذا كان للزوجة حرفة تزاولها خارج البيت نهارا وتبيت عند الزوج ليلا، كان له أن يمنعها من الخروج لمزاولة هذه الحرفة، فإذا لم تطعه سقطت نفقتها ، وليس له أن يمنعها من أن تزاول فى البيت عملا لا ينافى قيامها بحقوق الزوجية».

تقدير النفقة :

يراعى فى النفقة حال الزوج يسارا أو اعسارا ؛ فقد أمر الله

ذا السعة من الأزواج بأن ينفق من سعته، ولا يضيق على زوجه، وأمر من قدر عليه رزقه أن ينفق مما آتاه الله، قال تعالي: ﴿ لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله، لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاها﴾.
(سورة الطلاق : ٧)

غلاء الأسعار :

كما يراعى فى فرض النفقة حال الزوج، يراعى ارتفاع الأسعار وانخفاضها فى الأسواق، وإذا قدرت النفقة باعتبار حال الزوج، وأسعار الحاجات فى زمن ما، فحسنت حاله أو ارتفعت الأسعار كان للزوجة أن تطالب بزيادة ما قدر لها ، وإذا ساءت حاله أو خفضت الأسعار كان للزوج أن يطالب بخفضه.

حقوق الزوج

١ـ الطاعة
٢ - القرار فى البيت
٣ - ولاية التأديب

للزوج على زوجته حقوق ثلاثة هى : الطاعة ، والقرار فى البيت ، وولاية التأديب :

١ - الطاعة :

الزواج رباط مقدس حث عليه القرآن ، وأمرت به السنة . ومن هدى الإسلام أن تقوم هذه الرابطة بين الزوجين على المودة والرحمة والاحسان .

ومن حق الزوج على امرأته أن تطيعه فيما يتعلق بأمور الزوجية ، ومجال الناحية الخلقية هنا أوسع من مجال الناحية القانونية ، ولهذا كثرت الأحاديث التى تحث المرأة على طاعة زوجها . وسنذكر طائفة منها ، منقولة من كتاب إحياء علوم الدين بتخريج الحافظ العراقى . ومن كتب الصحاح والسنة :

١ - روى ابن حبان عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « إذا صلت المرأة خمسها ، وصامت شهرها وحفظت فرجها ، وأطاعت زوجها دخلت جنة ربها » .

٢ - روى البخارى ومسلم عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ

قال : « اطلعت فى النار فإذا اكثر أهلها النساء » ، فقلن لم يا رسول الله ؟ قال « يكثرن اللعن ويكفرن العشير » يعنى الزوج المعاشر .

وقد ذكر الأستاذ محمد عزة دروزه فى كتاب « المرأة فى القرآن والسنة » أن هذا الحديث وأمثاله يخص طائفة من النساء تجحدن حق الزوج ، ولا تقوم بطاعته ، تحرص على الشجار والنزاع ، ولا تجنح إلى الطاعة ولين الجانب . والحديث وارد فى مقام الوعيد والتهديد لمن تتكبر على زوجها وتكثر الشجار والنزاع ، ولا تتحلى بالوداعة والطاعة .

٣ - روى البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال : « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، الرجل فى بيته راع وهو مسئول عن رعيته ، والمرأة راعية على بيت زوجها وولده وهى مسئولة عن رعيتها، والخادم فى مال سيده راع وهو مسئول عن رعيته ، وكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته »

٤ - روى الحاكم وصحح اسناده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : أتت فتاة إلى النبى ﷺ فقالت : يا رسول الله ، انى فتاة أخطب فأكره التزويج ، فما حق الزوج على المرأة ؟ قال : « لو كان من فرقة إلى قدمة صديد فلحسته ما أدت شكره » قالت أفلا اتزوج ؟ قال : « بلى تزوجى فانه خير » .

وهذا الحديث كما ترى يصور حق الزوج فى طاعة زوجته ، وواجب الزوجة نحو زوجها من طاعة وعرفان بالجميل ، وبذلك تستقيم الحياة ، وتستقر الأسرة وتسعد الأجيال ، بالعطاء والايثار والتعاون ، وطاعة الزوجة لزوجها ، وعطف

الزوج ورعايته لزوجته .

٥ - روى الترمذى وأبو داود وابن حبان عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « لو أمرت احداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها » .

٦ - جاءت امرأة إلى النبى ﷺ فقالت يا نبى الله إنى رسول النساء إليك ، وما منهن امرأة - علمت أو لم تعلم - إلا وهى تهوى مخرجى إليك ، الله رب الرجال والنساء والاههم ، وأنت رسول الله الى الرجال والنساء ، كتب الله الجهاد على الرجال ، فإن أصابوا أثروا وأن استشهدوا كانوا أحياء عند ربهم يرزقون ، فما يعدل ذلك من أعمالهم من الطاعة ؟ فقال ﷺ : «طاعة أزواجهن، والمعرفة بحقوقهن ، وقليل منكن من تفعله» .

وفى هذا يقول على كرم الله وجهه : « جهاد المرأة حسن التبعل » .

أى أن جهاد المرأة فى قيامها بحق زوجها ، ومحاولة القيام بمهمة الزوجة على أحسن وجه ، واثقة أن زوجها بشر فيه ضعف الانسان فلتقبله على علاته ، ولتصبر على بعض هفواته ، فان قيام المرأة بحق بعلها ، وطلبها لمرضاته ، وحرصها على فعل ما يرضيه ، يعدل الجهاد فى سبيل الله .

٧ - روى الترمذى وقال حسن غريب ، وابن ماجه عن أم سلمة أن رسول الله ﷺ قال : « أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة » .

وآيات القرآن الكريم توضح أن للرجال حق القوامة ورئاسة الأسرة لما حباه الله به من قوة وقدرة ، واختلاط بالحياة والأحياء ، وقدرة على التكسب والانفاق ، وقد تميزت المرأة

بالعاطفة والحنان لرعاية البيت والأسرة . قال تعالى : ﴿ الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله ، واللاتى تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن فى المضاجع واضربوهن ، فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً إن الله كان علياً كبيراً ﴾ (النساء : ٣٤) .

جاء فى تفسير المنار[1] ، ما يأتى :

« أى أن من شأن الرجال القيام على النساء بالحماية والرعاية والولاية والكفاية ، ومن لوازم ذلك : أن يفرض عليهم الجهاد دونهم ، فإنه يتضمن الحماية لهن ، وأن يكون حظ الرجال من الميراث أكثر من حظ النساء ، لأن عليهم من النفقة ماليس عليهن ، وسبب ذلك أن الله تعالى فضل الرجال على النساء فى أصل الخلقة ، وأعطاهم ما لم يعطهن من الحول والقوة ، فكان التفاوت فى التكاليف والأحكام ، أثر التفاوت فى الفطرة والأستعداد ، وثم سبب كسبى آخر يدعم السبب الفطرى ، وهو ما ينفق الرجال على النساء من أموالهم » .

وقال الأستاذ الإمام محمد عبده : « المراد بالقيام هنا هو الرياسة التى يتصرف فيها المرءوس بارادته ، وليس معناها أن يكون المرءوس مقهوراً مسلوب الإرادة لا يعمل عملا إلا مايوجهه إليه رئيسه ، فإن كون الشخص قيماً على آخر ، هو عبارة عن إرشاده والمراقبة عليه فى تنفيذ ما يرشده إليه »[2] .

---

(١) تفسير المنار ، الجزء الخامس . ونداء للجنس اللطيف ، للسيد رشيد رضا ، ص ٣٠ ، الطبعة الثانية سنة ١٣٦٧ هـ .

(٢) نداء للجنس اللطيف ، تاليف رشيد رضا ، الطبعة الثانية سنة ١٣٦٧ هـ ص ٣٠ ، ٣١ .

درجـــة الرجـــال :

قال تعالى : ﴿ ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة ﴾ (البقرة : ٢٢٨) . لقد شاءت حكمة الله أن تقوم الحياة بين الزوجين على أساس من المودة والرحمة وقد بين القرآن أن لكل واحد من الطرفين حقوقا وعليه واجبات ، وتعنى هذه الآية فيما تعنيه أن كل ما يحق للزوج طلبه وانتظاره من زوجته ، من أمور مشروعة من طاعة وأمانة وعفة وإخلاص وحسن معاشرة ومعاملة ومودة وإحترام وثقة وتكريم وبر وترفيه ، ومراعاة مزاج ورعاية مصلحة وقضاء حاجات ، يحق للزوجة طلبه وانتظاره من زوجها ، ومن جملة ذلك اعتبار كل من الزوجين نفسه شريكا للآخر فى مختلف نواحى الحياة ، ومعاملة كل منهما للآخر على هذا الأساس وكلمة « بالمعروف » فى مقامها بليغة المدى، لأن هذه الكلمة عامة تعنى ما هو متعارف عليه أنه حق ، وهذا لا يقاس بزمن بعينه ، فيما ليس فيه تحديد فى كتاب وسنة ، بل يظل يتبدل ويتطور حسب تبدل ظروف الحياة الإجتماعية وتطورها ، والضابط العام فيه هو أن لا يحل حراما ولا يحرم حلالاً .

روى مسلم وأبو داود عن معاوية القشيرى قال : قلت يا رسول الله ما حق زوجة أحدنا عليه قال : « تطعمها إذا طعمت ، وتكسوها إذا كسيت ولا تضرب الوجه ولا تقبح ، ولا تهجر إلا فى البيت » .

والحديث ليس بسبيل بيان كل حقوق الزوجة على زوجها ، وأن جملة﴿ ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف ﴾ واسعة المدى فى إرشاد كل طرف أن يقوم بواجبه حيال الطرف الآخر .

« وللرجال عليهن درجة » .

قال بعضهم إن هذه الدرجة تتمثل فى كون الرجل هو الذى يملك حق الطلاق دون الزوجة ، ويملك حق التزوج بأكثر من زوجة . وقال بعضهم : إن كون الرجل هو المسئول عن الانفاق على الأسرة ، والأقوى على رعايتها قد جعل له شيئا من الهيمنة عليها وهو ما عنته جملة «وللرجال عليهن درجة » .

وقال بعضهم : إن الحياة الزوجية حياة اجتماعية ، وأنه لابد لكل اجتماع من رئيس لأن المجتمعين تختلف آراؤهم ورغباتهم فى بعض الأمور ، ولا تقوم مصلحتهم إلا إذا كان لهم رئيس يرجع إليه فى الخلاف ، لئلا يعمل كل فرد ضد الآخر فتنفصم عروة الوحدة الجامعة ويختل النظام ، وجعلت الرئاسة للرجل وعبر عنها بجملة « وللرجال عليهن درجة » لأنه أعلم بالمصلحة وأقدر على التنفيذ بقوته وماله وفى كل ذلك سداد وتوافق مع طبيعة الاجتماع التى جرت فى كل زمان ومكان وظرف ، على أن يكون للرجل الرئاسة فى الأسرة لأنه الابرز والأقدر على تلقى المشاكل وحلها[١] .

وينبغى للرجل ألا يبغى بفضل قوته على المرأة ، ولا للمرأة أن تستثقل فضله وتعده خافضا لقدرها ، بل أن وجود الرجل هو الذى ييسر للمرأة القيام بوظيفتها الفطرية ، وهى الحمل والولادة وتربية الأطفال وهى آمنة فى سربها ، مكفية ما يهمها من أمر رزقها[٢] .

والعلاقة بين المرأة والرجل علاقة تكامل لا تماثل ، فلكل

---

(١) محمد عزة دروزة ، المرأة فى القرآن والسنة ، ص ٣١ .

(٢) نداء للجنس اللطيف ، للسيد رشيد رضا ، باختصار وتصرف ، ص ٣١ .

منهما دوره ، ومن الخطأ أن يرغب أحدهما فى التنحى عن الدور المطلوب منه ، ويطمع فى دور الطرف الآخر ، قال تعالى: ﴿ ولا تتمنوا ما فضل به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن واسألوا الله من فضله إن الله كان بكل شئ عليماً ﴾ (النساء : ٣٢)

٢ - القرار فى البيت :

المرأة المسلمة صاحبة رسالة هادفة ، تتمثل فى رعاية أسرتها وتربية أبنائها وبناتها ، وقيامها بحق زوجها وهذه الرسالة السامية تستدعى قرارها فى بيتها ، متحصنة بعفتها ودينها ، فإذا خرجت من بيتها لأمر من الأمور خرجت فى ثياب ساترة ملتزمة أمر الدين فى غض البصر والبعد عن المحرمات . وقد التزمت نساء السلف الصالح بذلك فتركن للبشرية ذرية صالحة ورجالا صالحين ، ازدانت الدنيا بأخبارهم وتجمل التاريخ بحسن فعالهم .

روى البخارى ومسلم عن أسماء بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنها أنها قالت : « تزوجنى الزبير وماله فى الأرض من مال ولا مملوك ولا شئ غير فرسه وناضحه ، فكنت أعلف فرسه ، وأكفيه مؤنته وأسوسه ، وأدق النوى لناضحة وأعلفه ، وأستقى الماء ، وأخرز غربه ، وأعجن ، وكنت أنقل النوى على رأسى من ثلثى فرسخ حتى أرسل إلى أبو بكر بجارية فكفتنى سياسة الفرس ، فكأنما أعتقنى ، ولقيت رسول الله ﷺ يوماً ومعه أصحابه ، والنوى على رأسى ، فقال ﷺ : « أخ أخ لينيخ ناقته ويحملنى خلفه » فاستحييت أن أسير مع الرجال وذكرت الزبير وغيرته ، وكان أغير الناس ، فعرف رسول الله ﷺ أنى

قد أستحييت ، فجئت الزبير فحكيت له ما جرى ، فقال والله لحملك النوى على رأسك أشد عليَّ من ركوبك معه » .

إن عناية المرأة المسلمة وجهدها ينبغى أن يبذل فى تربية النشء ورعايته ، ونظام المنزل وسعادته ، وتعليم الأبناء والبنات وتأديبهم بأدب الدين والحياة . روى أن أسماء بنت خارجة الفزارى قالت لابنتها عند التزوج : إنك خرجت من العش الذى فيه درجت ، فصرت إلى فراش لم تعرفيه ، وقرين لم تألفيه ، فكونى له أرضا يكن لك سماء ، وكونى له مهادا يكن لك عمادا ، وكونى له أمة يكن لك عبدا ، لا تلحفى به فيقلاك ، ولا تباعدى عنه فينساك ، وإن دنا منكى فاقربى منه ، وإن نأى فأبعدى عنه ، واحفظى انفه وسمعه وعينه ، فلا يشمن منك إلا طيبا ، ولا يسمع إلا حسناً ، ولا ينظر إلا جميلاً.

قال الغزالى فى الإحياء :

« والقول الجامع فى آداب المرأة ، أن تكون قاعدة فى بيتها، مهتمة بعملها ، تحفظ بعلها فى غيبته ، وتطلب مسرته فى جميع أمورها ، ولا تخونه فى نفسها وماله ، ولا تخرج من بيته إلا بإذنه ، فإن خرجت فمختفية ، تطلب المواضع الخالية ، دون الشوارع والأسواق ، محترزة من أن يسمع غريب صوتها، أو يعرفها بشخصها ، همها صلاح شأنها ، وتدبير بيتها ، مقبلة على صلاتها وصيامها ، وتكون قانعة من زوجها بما رزق الله ، وتقدم حقه على حق نفسها ، وحق سائر أقاربها، مشفقة على أولادها ، حافظة للستر عليهم ، قصيرة اللسان عن سب الأولاد ومراجعة الزوج »[1] .

---

(١) إحياء علوم الدين ، كتاب آداب النكاح ، ص ٧٥٦ ، لجنة نشر الثقافة الإسلامية .

وقد أدب الله نساء النبى الكريم بأدب السماء حين قال سبحانه : ﴿ وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى ، وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله ، إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً ، واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة إن الله كان لطيفاً خبيراً ، إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات ، والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيماً ﴾ (الأحزاب : ٣٣ ـ ٣٥) .

المرأة المسلمة الآن :

إن وضع المرأة المسلمة فى عدد من البلاد الإسلامية ، بل فى كثير منها وضع يتنافى مع أدب الإسلام وهديه . فقد خرجت سافرة متبرجة « كأنها تعرض مفاتنها لتوجه أنظار الرجال إليها ، أو تثير اعجابهم بمحاسنها ، وإن لم تكن حسناء، لتستمتع بما يوجه إليها من نظرات الاستحسان الأثيمة أو الكاذبة ، وإلا لماذا تكشف الحرة الشريفة عن عوراتها ومفاتنها لغير زوجها ومحارمها ، والله تعالى يقول : ﴿ يأيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ﴾ (الأحزاب : ٥٩) .

وقد أصبح خروج المرأة على ما وصفنا عادة مألوفة فى الشوارع والمتاجر والمجتمعات العامة ، ومظهرا من مظاهر المدنية الحديثة التى فتن الناس بها .. فيا لله للمسلمين من

تقليد أعمى .. اللهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون .

وخروج المـرأة فى حد ذاته ليس حـراماً إذا كـان لهدف أو مقصـد مشروع وإنما يحرم إظهار المـفاتن والعورات والخلوة بغير المحارم »(1) .

٣ – ولاية التاديب :

قال تعـالى : ﴿ الرجال قوامـون على النساء بمـا فضل الله بعـضهم على بعـض وبما أنفـقوا من أمـوالهم ، فـالصالحـات قانتات حافظات للغيب بمـا حفظ الله واللاتى تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن فى المضــاجع واضربوهن ، فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً إن الله كان علياً كبيراً ﴾ .

جعلت الآية النساء نوعين :

النوع الأول : الصــالحات ، ولسن فـى حاجـة إلى تأديب ، فقد بلغن بصلاحهن وخضوعهن لله ولأزواجهن مرتبة سامية .

النوع الثانى : من يخاف نشوزهن وإنحرافهن عن الصراط المسـتقيم فهن فى حاجة إلى تهـذيب وتأديب ، وقد شرع من أساليب التهذيب ووسائل التأديب ثلاثا :

الأول : الموعظة الحـسنة ، وهذا ما يلائم حـال المرأة التى تكفيها الأشـارة أو الكلمة ، والزوج أدرى بما يصلح امرأته من ذلك .

الثانى : الهجر فى المضـجع ، وقد قيل إن المراد به المبيت فى حجرة غيـر التى تبيت فيها ، وقيل فى فراش غيـر فراشها وقـيل إن التعـبيـر بقـوله تعالى « فــى المضــاجع » يدل على

(1) الأستاذ على حسب الله ، الزواج فى الشريعة الإسلامية ، الطبعة الأولى ، ص ٢٠٣ بتصرف واختصار .

هجرها مع المبيت معها فى فراشها ، ولعل هذا يكون آلم لها .

وما دام المقصود التأديب فالأولى أن يترك تقدير ذلك إلى الزوج ، ليفعل منه ما يلائم حاله ، وما يراه ادعى إلى كبح جماح زوجه .

الثالث : الضرب ، ويجب ألا يكون مبرحاً شديد الإيلام . وقد روى عن ابن عباس تفسيره بالضرب بالسواك ونحوه ، ومن هنا نرى أن القصد فيه إلى الايذاء المعنوى أقوى من القصد إلى الايذاء البدنى .

والعارف بأحوال النساء فى البيئات المختلفة يدرك أن منهن من لا تصلح إلا بهذا النوع من التأديب .

فهو توجيه من العليم الحكيم لتستقيم الأسر وتتمتع بالاستقرار والإنتظام . وليتخير كل زوج من يناسب زوجته من أساليب التأديب .

ومن الخيرْ أن يقضى الزوجان وقتا فى دراسة وضعهما ، ومعرفة الأسباب التى تزعج الزوج ، والأسباب التى تؤلم المرأة ، ويتفقان على تجنب كل واحد منهما ما يؤلم الطرف الآخر ، ومن الخير أن تكون النصيحة هادئة بعيدة عن الأنفعال والغضب ، حتى لا يجرح الطرف الآخر ، ولا تأخذه العزة بالأثم .

قال رجل لزوجته :

خذى العفو منى تستديمى مودتى
ولا تنطقى فى سورتى حين أغضب

ولا تنقرينى نقرك الدف مرة
فإنك لا تدرين كيف المغيب

ولا تكثرى الشكوى فتذهب بالهوى
ويأباك قلبى والقلوب تقلب

فإنى رأيت الحب فى القلب والأذى
إذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهب

وفى خطبة حجة الوداع قال رسول الله ﷺ :

ألا واستوصوا بالنساء خيرا ، فإنما هُن عوان عندكم ، لا تملكون منهن شيئاً غير ذلك ، إلا أن يأتين بفاحشة مبينة ، فإن فعلن فاهجروهن في المضاجع واضربوهن ضربا غير مبرح ، فإن اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا ، ألا إن لكَم على نسائكم حقا ، ولنسائكم عليكم حقا ، فحقكم عليهن ألا يوطئن فراشكم من تكرهون ، ولا يأذن فى بيوتكم لمن تكرهون ، وحقهن عليكم أن تحسنوا إليهن فى كسوتهن وطعامهن .

الحقوق المشتركة بين الزوجين

من الحقوق المشتركة بين الزوجين ما يأتى :

١ - حل استمتاع كل منهما بالآخر

٢ - حسن العشرة

١ - حل الاستمتاع

ضبط الدين غريزة البطن والفرج ، فأمر بغض البصر وحفظ الفروج وأكل الحلال والإلتزام بحدود الله ، قال تعالى فى صفات المؤمنين الفالحين : ﴿ والذين هم لفروجهم حافظون ، إلا علي أزواجهم أو ما ملكت إيمانهم فإنهم غير ملومين ، فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون ﴾
(سورة المؤمنون : ٥ ـ ٧)

فلكل من الزوجين حق الاستمتاع بصاحبه ، وهذا أمر تدعو إليه الفطرة ، ويتوقف عليه التناسل ، فعلى كل منهما أن يلبى داعى الفطرة البشرية ، ولا يمتنع على الآخر ، ما لم يكن هناك ما يمنعه من مرض أو حيض أو غير ذلك من الموانع .

وقد حكى عن كثير من العلماء أن الجماع حق للمرأة كالرجل ، ولها أن تطالب به ، ولعل من جعله حقاً للرجال وحده نظر فيه إلى توقفه علي شرط ايجابى من قبله وسلبى من قبلها وهو عند الحنفية من الأمور التى لا يتناولها القضاء والإلزام إلا الوطأة الأولى ، وهو واجب على الزوج لامرأته

ديانة ، بحيث لا ينقطع عنها مدة الايلاء - أربعة أشهر - من غير رضاها[1] .

٢ - حسن العشرة :

الزواج فيه ازدواج ومخالطة ومعاشرة ، وفيه تعاون وتكامل ، وقد حث الإسلام على حسن العشرة بين الزوجين ، ونفر من الظلم والتظالم بينهما .

وقال سبحانه : ﴿ ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف ﴾ (البقرة : ٢٣٨) . وقال تعالى : ﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة ﴾ (الروم : ٢١)

« فكل من الزوجين مطالب بإحسان معاشرة الاخر ، ويكون ذلك بالبعد عما ينفر ، والسعى إلى ما يرضى ، والتعاون على دفع الشر وجلب الخير ، والإخلاص فى أداء الواجب مع العطف والتسامح وحسن الحديث ، وإحترام الرأى وما إلى ذلك مما تقتضيه الحياة الزوجية من أسباب السعادة والإطمئنان ليدوم الوفاق والوئام ، ويتمتع الأبناء بسعادة الآباء)[٢] .

وقد أكثر القرآن من استخدام كلمة المعروف ، وهى ما عرف عن الشرع حسنه ، وما تعارف الناس عليه ، واعتبر من الآداب العامة ومكارم الأخلاق .

قال تعالى ﴿ وعاشروهن بالمعروف ﴾

وقال سبحانه ﴿ ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف ﴾

---

(١) على حسب الله ، الزواج ص ٢٠٧ ، والفرقة بين الزوجين ، ص ١٤٤ .
(١) الأستاذ على حسب الله ، الزواج ، ص ٢٠٨ بتصرف .

فالحيـاة بين الزوجين لا يصلحهـا إلى التعاون والتضـحية والإخلاص والإيثار ، وقد عقـد أبو حامد الغزالى بابا فى آداب المعاشرة بين الزوجين قال فيه :

ومن الآداب التى ينبـغى أن يتـحلى بهـا الزوج ، الاعـتـدال والأدب فى (١٢) اثنى عشـر أمرا . فى الوليـمة والمعـاشرة ، والدعابة والسيـاسة ، والغيرة ، والنفقة والتعلـيم ، والقسمة ، والتأديب فى النشوز ، والوقاع ، والولادة ، والمفارقة بالطلاق. وسـوف نتحـدث عن خمـسة من أهم هذه الآداب إن شـاء الله تعالى .

آداب تتعلق بالزواج

على الزوج مراعاة الاعتدال فى خمسة أمور هى :

١ - الوليمـــة

٢ - الصبر والاحـتمال

٣ - المداعبـة والمـزاح

٤ - مزج المداعبة بالحزم

٥ - الاعتـدال فى الغيرة

١ - الوليمـــة :

الزواج فى حد ذاته نعمة كبرى فيه صيانة الأعراض ، وامتاع النفس ، وبه تتم راعية الذرية وإثراء الحياة ، ولذلك شرعت الوليمة لأجله ابتهاجا به وإعلانا له ، والوليمة طعام يدعى إليه الأصدقاء ، من الأغنياء والفقراء ، ومن منكرات الزواج المبالغة فى الولائم ، وإحضار العازفين والراقصين والراقصات ، والجناية على الفضيلة والتبذير والإسراف والبذخ ، وقد نهى القرآن عن الإسراف والتبذير ، فقال تعالى : ﴿ ولا تبذر تبذيرا ، إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا ﴾ (سورة الإسراء : ٢٦ ، ٢٧) .

إن الفضيلة وسط بين رذيلتين ، ونحن لا ندعو إلى البخل والشح ، ولا إلى الاسراف والتبذير ، وإنما ندعو إلى الاعتدال

فى نفقات الزواج ووليمة العرس ، حسب اليسار والإعسار ، إن الوليمة سنة نبوية من هدى النبوة ، وهى مستحبة للقادر ، ولكن الالتزام بمظاهر الولائم ، ونفقات الأفراح ، جعل بعض الناس يغالون فيها غلوا فاحشا ، يخرجها عن هدى الدين ، وتعاليم سيد المرسلين .

أعرف تاجرا مسلماملتزما من أسرة متدينة زوج كريمته ، وصنع احتفالا فى فندق كبير بالقاهرة ، وقاربت نفقات الحفل خمسين ألف جنيه ، واستقدم فى الحفل طائفة من المغنيات والراقصات وهى أمور بعيدة كل البعد عن روح الإسلام وهدى سيد الأنام .

فإذا كان هذا حال مسلم ملتزم ، فماذا يصنع عامة الناس ؟ إن المسلمين فى حاجة إلى صحوة ويقظة وتمسك بروح الإسلام واعتزاز به ، والتزام بما جاء به النبى الأمين ، ويجب أن تعرف كل عروس أن الكرامة ليست فى اتباع التقاليد الآثمة، ولكن فى اتباع الهدى الإسلامى لنكون حقا خير أمة أخرجت للناس .

لقد ورد فى هدى النبوة الحث على إعلان الزواج ، والضرب عليه بالدفّ ، وأبيح الغناء فى حفلات العرس ، بشرط أن تكون هناك الكلمة والأداء واللحن وغيرها مما يشيع البهجة والسرور ، ولا يثير الفتنة والرذيلة . فالغناء ، والضرب بالدف ، وإظهار البهجة والسرور ، أمور مندوبة أو مباحة ، وهى تعبر عن سماحة الدين ويسره ، وإن الإسلام لا يؤيد المتزمتين المتشددين ، الذين يرفضون كل لهو مباح ، وهو فى نفس الوقت لا يؤيد المتجاوزين ، الذين يرون الأفراح لا تتم إلا

باستقدام الراقصات المائلات المميلات ، الذين لا يرون رائحة الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة عام .

نحن فى حاجة ملحة إلى تيسر الزواج ، وتسهيل نفقاته ، حتى يقدم الشبان والشابات على الزواج بدون معوقات ، وبدون نفقات اضافية باهظة .

صحيح أن الوليمة سنة ، ولكنها طعام عادى يقدمه الزوج حسب مقدرته وطاقته .

روى البخارى ومسلم عن أنس رضى الله عنه قال : رأى رسول الله ﷺ على عبد الرحمن بن عوف أثر صفرة « الطيب » فقال ما هذا ؟ فقال عبدالرحمن تزوجت امرأة على وزن نواة من ذهب ، فقال النبى بارك الله لك أولم ولو بشاة . ومعروف أن عبدالرحمن بن عوف كان من أثرياء المسلمين .

وروى الأربعة عن أنس قال أولم رسول الله ﷺ على صفية بتمر وسويق .

أى أن الوليمة يمكن أن تكون ثريدا ولحما ، ويمكن أن تكون أى نوع من الطعام ليس فيه لحم بحسب حالة الشخص ، وهى مستحبة وليست أمرا واجبا .

وربما كان الأفضل للفقراء والشباب الناشئ الأقتصار فى التكاليف قدر الأمكان ، حتى يتيسر أمر الزواج ويتم إحصان المؤمنين والمؤمنات .

وتستحب تهنئة العروسين ، فيقول من دخل على الزوج بارك الله لك ، وبارك عليك وجمع بينكما فى خير .

روى أبو داود والترمذى وصححه ابن ماجه عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال فى تهنئة الزوج « بارك الله لك وبارك عليك

وجمع بينكما فى خير » .

ويستحب إظهار النكاح وإعلام الناس به . روى الترمذى وحسنه وابن ماجة أن النبى ﷺ قال : « فصل ما بين الحلا والحرام الدف والصوت » .

وروى البخارى عن الربيع بنت معوذ قالت جاء رسول الله ﷺ فدخل على غداة بُنى بى ، فجلس على فراشى ، وجويريات لنا يضربن بدفهن ، ويندبن من قتل من آبائى ، إلى أن قالت إحداهن : وفينا نبى يعلم ما فى غد .. فقال لها « أسكتى عن هذه وقولى الذى كنت تقولين قبلها » .

إن الغناء الجيد وسيلة لتسرية النفس وامتاع العاطفة وايناس الزوج والزوجة ، بشرط الالتزام بما ورد فى السنة من ناحية الكلمة التى تغنّى ومن ناحية العزف بالدف ومن ناحية عدم الإثارة والفتنة .

٢ - الصبر والاحتمال

عاطفة المرأة جياشة ، وهى مفطورة على سرعة الأنفعال ، وقد خلقها الله كذلك لتقوى فيها عاطفة الأمومة ورعاية الأسرة، واحتمال آلام الحمل والرضاعة والفصال والتربية ، وقد أمر الإسلام الرجل بحسن الخلق ، واحتما الأذى من الزوجة ، وكفّ الأذى عنها والحلم عند طيشها وغضبها ، اقتداء برسول الله ﷺ .

فقد ورد فى الصحيحين أن أزواجه كانت تراجعه الكلام[1]، وتهجرة الواحدة منهن يوما إلى الليل .

---

(١) اى ترد عليه الكلام ، وتقترح عليه غيرها يامرها به .

وراجعت امرأة عمر رضى الله عنه عمر فى الكلام فقد أتراجعيننى يالكعاء ؟ فقالت إن أزواج رسول الله ﷺ يراجعنه ، فقال عمر خابت حفصة وخسرت إن راجعته ، ثم قال لحفصة لا تغترى بابنة أبى قحافة فانها حب رسول الله ﷺ وخوّفها من المراجعة .

وروى النسائى فى السنن الكبرى وابن ماجة عن أم سلمة أن آخر ما وصى به رسول الله ﷺ ثلاث كان يتكلم بهن حتى تلجلج لسانه ، وخفى كلامه ، جعل يقول : « الصلاة الصلاة ، وما ملكت أيمانكم لا تكلفوهم ما لا يطيقون ، الله الله فى النساء فانهن عوان فى أيديكم « يعنى أسراء » أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله » .

وروى البخارى ومسلم عن عائشة رضى الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ يقول لى : « إنى لأعرف غضبك من رضاك » قالت وكيف تعرف ؟ « قال : إذا رضيت قلت لا واله محمد وإذا غضبت قلت لا وإله إبراهيم » قالت صدقت إنما أهجر إسمك ، وفى رواية والذى بعثك بالحق نبيا ما أهجر إلا إسمك .

وفى الصحيحين أن النبى ﷺ قال لعائشة : « كنت لك كأبى زرع لأم زرع غير أنه طلقها وأنا لا أطلقك » فقالت عائشة : بل أنت والله خير لى من أى أبى زرع لأم زرع . وهذه الأحاديث الشريفة ترشد إلى مؤانسة الزوج لزوجته ، وامتاع آذانها بالكلمة الحلوة ، والأمل البسام ، وينبغى أن تجامله الزوجة وأن تردد على مسامعه كلمات الحب والود ، حتى تنتشر السعادة ، ويرفرف على البيت المسلم رايات المودة والوئام .

وفى الأثر : إذا كرهت المرأة زوجها فلا تخبره بذلك ، فليست كل البيوت تبنى على الحب ، ولكن على التذمم والوفاء، أى مراعاة الذمة والأمانة والوفاء ، لعقد القران بين الزوجين .

ويجب على الجيل الناشئ أن يعرف أن الحب قبل الزواج لا يستمر دوما ، وأن أفضل أنواع الزواج ما نشأ عن اختيار عاقل هادئ رزين ، ثم يأتى الحب بالمودة والعشرة ، فإنما الحب بالتحبب والصبر بالتصبر . وما نراه فى أفلام السينما ، وروايات المسرح من الحبِّ لأول نظرة ، وترك الزوجة لزوجها لوقوعها فى حبائل عاشق ، أمور تروج فى صناعة السينما والمسرح . أما الحياة العادية فتحتاج إلى صبر والتزام بهدى الإسلام ، فقد أمر الله بغض البصر وحفظ الفروج ، والاستئذان على البيوت ، وحرم كل علاقة آثمة ، وحث الدين على الوفاء بين الزوجين ، وعدم المسارعة إلى طلب الطلاق ، أو تحطيم عرى الزوجية .

قال تعالى : ﴿ وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيراً كثيراً ﴾ (النساء: ١٩)

وفى الصحيح أن رسول الله ﷺ قال : « استوصوا بالنساء خيرا ، فإن المرأة خلقت من ضلع ، وإن اعوج مافى الضلع أعلاه ، وان ذهبت تقيمها كسرتها وكسرها طلاقها ، فاستمتع بها وفيها عوج ، واستوصوا بالنساء خيرا » .

٣ - المداعبة والمزاح

ورد فى الأثر : « روحوا القلوب ساعة ، فإنها إذا تعبت كلت، وإذا كلت عميت » ، والمرأة مرهفة الأحساس ، ومن الخير أن تتم معاملتها بلطف وحنان ، وإذا دخل الحب فى القلوب جعلها تحتمل الآلام وتنتظر المستقبل السعيد . ولا شك

أن هذه السعادة النفسية لها أهمية كبرى فى بناء الإنسان المعاصر ، فهى ترياق نافع وعقار مفيد ، إن البسمة واللمسة الحانية والمزاح والملاعبة هى التى تّطيب قلوب النساء .

وقد كان ﷺ يمزح معهن ، وينزل إلى درجات عقولهن فى الأعمال والأخلاق . حتى روى أبو داود والنسائى وابن ماجة عن عائشة بسند صحيح أن رسول الله ﷺ كان يسابق عائشة فى العدو فسبقته يوما ، وسبقها يوما فى بعض الأيام ، فقال عليه السلام : هذه بتلك .

وفى الخبر أنه كان عليه الصلاة والسلام من أفكه الناس مع نسائه . وقالت عائشة رضى الله عنها : « سمعت أصوات أناس من الحبشة وغيرهم وهم يلعبون فى يوم عاشوراء ، فقال لى رسول الله ﷺ : اتحبين أن ترى لعبهم ، قالت قلت نعم، فأرسل اليهم فجاء واقام رسول الله ﷺ بين البابين فوضع كفه على الباب ومد يده ووضعت ذقنى على يده ، وجعلوا يلعبون وأنظر ، وجعل رسول الله ﷺ يقول « حسبك » ، وأقول أسكت مرتين أو ثلاث ، ثم قال : يا عائشة حسبك ، فقلت نعم ، فأشار إليهم فانصرفوا » (١) .

وروى الترمذى والنسائى والحاكم وقال رواته ثقات على شرط الشيخين أن رسول الله ﷺ قال : « أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا وألطفهم بأهله » .

وروى الترمذى وصححه أن رسول الله ﷺ قال : « خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم » ، وفى رواية « خيركم خيركم لنسائه وأنا خيركم لنسائى » . وقال عمر رضى الله عنه :

---

(١) متفق عليه ، وفى رواية يوم عيد ، دون ذكر يوم عاشوراء .

« ينبغي للرجل أن يكون فى أهله مثل الصبى ، فإذا التمسوا ما عنده وجد رجلا » .

وقال لقمان : ينبغى للعاقل أن يكون فى أهله كالصبى ، وإذا كان فى القوم وجد رجلا .

وفى الصحيحين : « ألا أخبركم بأهل النار ، كل عتل جواظ مستكبر » .

والعتل هو الفظ اللسان ، الغليظ القلب على أهله . والجواظ: الشديد المتكبر فى نفسه .

ولأبى داود : « لا يدخل الجنة الجواظ ولا الجعظرى » ، وهو الشديد المتكبر الغليظ القلب .

ووصفت أعرابية زوجها فقالت : والله لقد كان ضحوكا إذا ولج ، سكيتا إذا خرج آكلا ما وجد ، غير مسائل عما فقد .

وفى الصحيحين أن النبى ﷺ قال لجابر هل تزوجت ؟ قال نعم ، فقال له بكرا أم ثيبا قال ثيبا ، فقال ﷺ له : هلا بكرا تلاعبها وتلاعبك » (١) .

إن الرجل المثالى فى هَدْى الإسلام هو الذى يكون قويا فى نفسه ، ملتزما حدود الله ، حازما فى غير عنف ، رقيقا فى غير ضعف ، صفوحا عن الزلات ، متسامحا عن الهفوات ، يرى أن الضعف البشرى ملازم للرجل والمرأة على السواء ، وصدق الله العظيم : ﴿ وخلق الإنسان ضعيفا ﴾ (سورة النساء : ٢٨). فينبغى أن ننظر إلى شريك العمر على أنه بشر يخطئ ويصيب، وتعتريه فترات القوة والضعف ، والرشد والغى ، فينبغى أن نسدده وننصحه بالتى هى أحسن .

---

(١) انظر الإحياء للغزالى ، كتاب آداب النكاح ، ص ٧٣٠ ، ربع العادات ، طبع لجنة نشر الثقافة الإسلامية .

ومن دراسة تراثنا العربى والإسلامى نجد أن الرجل المثالى فى عين الزوجة هو الذى يكون لطيفا ودودا بشوشا متسامحا حازما . ومن ادعى أن الرجل المثالى هو القوى العنيف الشديد الغليظ فقد جاوز الحد .

وينبغى أن تربى الذرية على هذا الأساس ، الحياة الزوجية تعاون وتسامح وعطف مودة ومحاولة أخذ كل طرف بيد الآخر.

٤ - مزج المداعبة بالحزم

بالعدل قامت السماوات والأرض ، وخير الأمور الوسط ، وشر الأمور الشطط ، والمؤمن ينبغى أن يكون لينا فى غير ضعف ، وحازما فى غير عنف .

يقول أبو حامد الغزالى :

« ينبغى ألا يتبسط الرجل فى الدعابة وحسن الخلق والموافقة باتباع هوى زوجته إلى حد يفسد خلقها ، ويسقط بالكلية هيبته عندها . بل يراعى الإعتدال ، فلا يدع الهيبة والأنقباض مهما رأى منكرا ، ولا يفتح باب المساعدة على المنكرات البتة ، بل مهما رأى ما يخالف الشرع والمروءة تنّمر وامتعض ، قال الحسن : والله ما أصبح رجل يطيع امرأته فيما تهوى إلا كبه الله فى النار . وقال الإمام الشافعى : ثلاثة أن اكرمتهم أهانوك ، وإن أهنتهم أكرموك : المرأة والخادم والنبطى ، أراد به إن محضت الأكرام ولم تمزج غلظك لينك ، وفظاظتك برفقك ، وكانت نساء العرب يعلمن بناتهن اختبار الأزواج ، وكانت المرأة تقول لأبنتها ، اختبرى زوجك ، قبل الأقدام والجرأة عليه ، انزعى زج رمحه ، فإن سكت فقطعى اللحم على ترسه ، فإن سكت فكسرى العظام بسيفه ، فإن

سكت فاجعلى الأكاف على ظهره وامتطيه فإنما هو حمارك .

إن سياسة المنزل أمر خاص ، يكاد أن يكون فيه لكل حادث حديث ، وقديما قالوا لا تكن رطبا فتعصر ، ولا يابسا فتكسر ، لكن المؤمن ينبغى أن يغلّب جانب العطف والرحمة على جانب القهر والشدة ، وفى الأثر : ما دخل الرفق شيئا إلا زانه ، وفى الحديث الشريف : يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا .

فالطبيب الحاذق هو الذى يقدر العلاج بقدر الداء ، فلينظر الرجل أولا إلى أخلاق زوجته بالتجربة ، ثم ليعاملها كما يقتضيه حالها [1] .

٥ - الاعتدال فى الغيرة

ينبغى أن يكون الرجل معتدلا فى غيرته غير مبالغ ولا مفرط . والأصل حمل حال المؤمن والمؤمنة على الصلاح ، ولذلك ينبغى ألا يتجسس الرجل على زوجته ولا يتهمها بالخيانة ، بل الاساس أن يمنحها الثقة ، ويؤكد لها هذا المعنى ليكون ذلك صمام الأمان فى تماسكها أمام الإغراء والشر .

وفى صحيح مسلم : نهى رسول الله ﷺ أن تتبع عورات النساء ، وفى رواية نهى أن تتطلب عثرات النساء ، وفى صحيح البخارى : نهى رسول الله ﷺ أن يطرق الرجل زوجته ليلا ، يتخونها . والمعنى أن يعود من سفره ليلا ، ليتفقد خيانة زوجته .

إن الثقة التامة أساس اختيار الزوجة ، وإذا مزجت بالغيرة المعتدلة ، والرعاية الحانية ، كانت عنوان المحبة الصادقة ،

---

(١) أبو حامد الغزالى ، إحياء علوم الدين ، كتاب النكاح ربع العادات ، ص ٧٣٢ . طبعة لجنة نشر الثقافة الإسلامية .

روى البخارى ومسلم أن رسول الله ﷺ قال : « إن الله تعالى يغار والمؤمن يغار وغيرة الله تعالى أن يأتى الرجل ما حرم عليه » .

وفى الصحيحين من حديث المغيرة بن شعبه أن رسول الله ﷺ قال : « أتعجبون من غيرة سعد ؟ أنا أغير منه ، والله أغير منى » .

ولأجل غيرة الله حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، وروى أبو داود والنسائى وابن حبان أن رسول الله ﷺ قال : «إن من الغيرة غيرة يحبها الله ومنها ما يبغضها الله ، فأما الغيرة التى يحبها الله فالغيرة فى الريبة ، وأما الغيرة التى يبغضها الله فالغيرة فى غير ريبة » .

وفى الصحيحين من حديث جابر أن رسول الله ﷺ قال : « رأيت ليلة أسرى بى فى الجنة قصرا وبفنائه جارية فقلت لمن هذا القصر ؟ قيل لعمر ، فأردت أن أنظر إليها فذكرت غيرتك ياعمر » ، فبكى عمر وقال : أعليك أغار يا رسول الله ؟ .

وكان الحسن يقول : أتدعون نسائكم يزاحمن العلوج فى الأسواق قبح الله من لا يغار .

بوادر الخلاف

إذا بدرت بوادر الخلاف بين الزوجين ، وأحس أحدهما بالحزن أو الأسف لهذه الحياة الزوجية ، فقد حث الدين على الصبر والتريث ، ومعالجة الموقف بالحكمة والصبر . قال تعالى : « وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيراً » .

أحيانا تثور أعصاب الإنسان ، أو يفلت لسانه بكلمة جارحة،

ومن الخير للطرف الآخر أن يتمسك بالحكمة والصبر ، حتى تهدأ العاصفة ، وتستقر النفوس ، ويحس الجميع بالأمان والمودة والإمتنان ، قال تعالى : ﴿ ولا تستوى الحسنة ولا السيئة إدفع بالتى هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم ﴾ (فصلت : ٣٤) .

وصية أب لابنته

١ - احذرى الكذب على زوجك ، فالكذب يخلق فى نفس الرجل الشك والأرتياب ، وهما سم الحياة الزوجية .

٢ - إحذرى شدة الأنفعالات العصبية ، فهى تجعل البيت شبه جحيم .

٣ - إحذرى الإسراف فى التجمل ، متى كان زوجك غيورا ، لأن ذلك يغضب الزوج الغيور ويثيره ، ويلقى فى روعه أن زوجته تتجمل لسواه .

٤ - إحذرى الإسراف فى مدح أى رجل غريب أمام زوجك، فقد يصدر المدح منك بحسن نية ، ولكن الزوج يكره أن تمدح إمرأته رجلا غريبا على مسمع منه .

٥ - إحذرى البطنة فإنها تفسد الجمال وتجلب البدانة .

وصية أم لابنتها

أى بنية : لا تغفلى عن نظافة بدنك ، فإن نظافته تضئ وجهك ، وتحبب فيك زوجك ، وتبعد عنك الأمراض والعلل ، وتقوى جسمك على العمل فالمرأة التفلة ـ غير النظيفة ـ تمجها الطباع وتنبو عنها العيون والأسماع ، وإذا قابلت زوجك فقابليه فرحة مستبشرة ، فإن المودة جسم روحه بشاشة الوجه .

غيرة رجل ومروءة امرأة

شكت إمرأة مطلقة مطلِّقها وأوقفته أمام القضاء ، مطالبة بحقها ، فأنكر الزوج ما أدعته عليه ، وأحضر شهوده ، فطلب القاضى أن تكشف المرأة المطلقة وجهها ، ليشير إليها الشهود فى شهادتهم ، فلم يقبل مطلقها أن يرى أجنبى وجه مطلقته ، واعترف بدعواها ، ولو أن فى ذلك إدانته ، فتنازلت هى الأخرى عن قضيتها ، وأشهدت القاضى أنها أبرأت مطلقها مما لها عليه فى الدنيا والآخرة ، مقابل غيرته عليها .

وفاء زوجة

يحكى أن رجلا أراد أهل زوجته أن يفرقوا بينه وبينها ، لفقر نزل به بعد غنى ، فرفع شكواه إلى الحاكم ليفصل بينهما ، فأمر الحاكم باحضارها ، فلما مثلت بين يديه راقه جمالها ، وود لو أنها كانت زوجة له فقال لزوجها : إننا نخيرها بيننا ، فقال الرجل ذلك إليك ، فتوجه الحاكم نحوها وقال : يا سعدى ، أينا أحب إليك ؟ الملك فى عزة وشرفه وقصوره ، أم هذا الأعرابى فى جوعه وأطماره ؟ فأشارت الزوجة إلى زوجها وأنشأت تقول :

هذا وان كان فى جوع وأطمار
أعز عندى من أهلى ومن جارى

ثم قالت : لست والله لحدثان الدهر بخاذلته ، ولقد كان لى معه معيشة راضية ، وأنا أحق من صبر معه على السراء والضراء ، وعلى الشدة والرخاء ، وعلى العافية والبلاء ، وعلى القسم الذى كتب الله لى منه ، فتعجب الحاكم من عقلها

ومروءتها وأمر لها بعشرة آلاف درهم .

قال أحد الحكماء :

« المرأة الطيبة توحي إلى الرجل ، والذكية تثير اهتمامة ، والجميلة تأسره ، ولكن المرأة العطوف الرقيقة هي التي تحصل عليه » .

كلمة إلى الشباب

عند بداية الحياة الزوجية ، ستفاجأ بتبدد كثير من الأحلام الوردية ، وستصحو على تكاليف الحياة والتزاماتها ونفقاتها ، وينبغي أن يتعاون الزوجان أمام ذلك بجد وإخلاص ، الرجل موقعه خارج المنزل للكسب والعمل ، والمرأة موقعها في المنزل للنظافة وإعداد الطعام وإعداد الأسرة كلها في المستقبل، وعند بداية النزاع لا ينبغي الأسراع إلى الأهل والأقارب ، وينبغي الاعتماد على النفس ، وتدارس الموقف ، واستماع كل طرف لما يشتكى منه الطرف الآخر ، ومحاولة الابتعاد عن ما يغضب أو يؤلم .

وقد شرع القرآن ثلاث مراتب لعلاج نشوز المرأة :

الأولى : النصيحة الخالصة وتذكيرها بواجباتها وتحذيرها من شماتة الأخرين ، وينبغي أن تكون النصيحة رقيقة مبعثها الحب والإخلاص والتقدير .

الثانية : الهجر في المضجع ، أو الأعراض النفسي و ومقاومة الرغبة الجسدية فيها ، لعل ذلك يهدد من كبريائها ، ويردها إلى صوابها .

الثالثة : الضرب الخفيف الذي يصيب الوجه ولا يبالغ في الألم ، بل ضرب بنحو السواك أو القلم الرصاص . فهو أمر

معنوى أكثر منه حسي ، وقد وردت فى هذا أحاديث كثيرة تقبح الضرب وتنفر منه .

وفى النهاية ينبغى للرجل أن ينتهز أول فرصة مواتية لأنهاء التوتر وإعادة الحياة إلى مجاريها ، وإسباغ الحنان والعطف على جو المنزل . قال تعالى : ﴿ الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض ، وبما أنفقوا من أموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله ، واللاتى تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن فى المضاجع واضربوهن ، فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا إن الله كان عليا كبيرا ﴾ (النساء : ٣٤)

والضرب شرعه القرآن ، كجرعة من الدواء المر ، تفيد فى بعض الأحيان للابقاء على الحياة الزوجية بدلا من تصدع شمل الأسرة . والأخيار من الرجال لا يضربون ، ويكتفون بالوعظ والهجر والخيرات من النساء لا تُضْرب ، وإنما الضرب لفئة محددة ولظروف معينة ، والقرآن يُشرِّع لجميع الفئات ولجميع الطبقات . والضرب يراد منه التهديد . وفى الحديث «آخر الدواء الكى » . وروى البيهقى من حديث أم كلثوم بنت الصديق رضى الله عنها قالت : « كان الرجال نهوا عن ضرب النساء ، ثم شكوهن إلى رسول الله ﷺ بأنهن تمردن عليهم ، حتى قال عمر : يا رسول الله قد ذأر النساء على أزواجهن ، أى تمردن وعتين فى النشوز والجرأة ، فخلي بينهم وبين ضربهن، ثم قال : ولن يضرب خياركم » .

« فما أشبه هذه الرخصة بالحظر ، وجملة القول إن الضرب علاج مر ، قد يستغنى عنه الخَيِّر الحر ، ولكن لا يزول من

البيوت بكل حال ، أو يعم التهذيب النساء والرجال » [١] .

وقد اعترض البعض على عقوبة الضرب ، وقد كتب الأستاذ عباس العقاد فى الرد على هؤلاء المعترضين يقول :

« وهو فيما يبدو لأيسر نظرة - إعتراض متعجل فى غير فهم ، وعلى غير جدوى وليس هذا الاعتراض بالجائز إلا على وجه واحد ، وهو أن العالم ، لا تخلق فيه امرأة تستحق التأديب البدنى ، أو يصلحها هذا التأديب ، وإنه لسخف يجوز أن يتحذلق فيه من شاء على حساب نفسه ، إظهارا لدعوى النخوة والفروسية فى غير موضعها ، وليس بالجائز أن يتحذلق به على حساب الشريعة أو الطبيعة ولا على حساب كيان الأسرة وكيان الحياة الاجتماعية .

إن المقام مقام العقوبة ، بل مقام العقوبة بعد بطلان النصيحة ، وبطلان القطيعة ، ولم يخل العالم الإنسانى رجالا ونساء ممن يعاقبون بما يعاقب به المذنبون ، فما دام فى العالم امرأة من ألف امرأة تصلحها العقوبة البدنية ، فالشريعة التى يفوتها أن تذكرها ناقصة ، والشريعة التى تؤثر عليها هدم الأسرة مقصرة ضارة ، واللغط بهذه الحذلقة نفاق رخيص ، والتماس للسمعة الباطلة بأخبث أثمانها ، وقد أجازت الشرائع عقوبة الأبدان للجنود ، ولها مندوحة عنها بقطع الوظيفة وتأخير الترقية والحرمان من الأجازات والحريات ، فإذا امتنع العقاب بغيرها لبعض النساء ، فلا غضاضة على النساء جميعا العقوبات من جميع القوانين .. وإن عقوبة الجناة تغض من الأبرياء ، وإلا لوجب اسقاط جميع العقوبات

---

(١) نداء للجنس اللطيف ، تاليف السيد محمد رشيد رضا ، ط ٢ ، ص ٣٥ .

من جميع القوانين.. وإن العقوبة البدنية فى حكم الإسلام جد كريهة، وما أبيحت إلا لاتقاء ما هو أكره منها وهو الطلاق»[1] .

وقال الإمام محمد عبده فى تفسير المنار « الضرب أمر يحتاج إليه فى حال فساد البيئة وغلبة الأخلاق الفاسدة ، وإنما يباح إذا رأى الرجل أن رجوعِ المرأة عن نشوزها يتوقف عليه .. ونحن مأمورون على كلّ حال بالرفق بالنساء واجتناب ظلمهن، وإمساكهن بمعروف أو تسريحهن بأحسان » .

وقال القرطبى فى تفسير الآية : « واضربوهن » أمر الله أن يبدأ النساء بالموعظة أولا ، ثم بالهجران ، فإن لم ينجحا فالضرب .. والضرب فى هذه الآية هو ضرب الأدب غير المبرح، وهو الذى لا يكسر لها عظما ، ولا يشين جارحة ، كاللكزة ونحوها فان المقصور منه الصلاح لا غير .. « فلا حرج إذا أدى إلى الهلاك وجب الضمان .. » . .

التحكيم بين الزوجين

إذا استحكم الخلاف بين الزوجين ، وعجزا بوسائلهما الخاصة ، عن حل مشاكلهما فلا مانع من الأستعانة بخبرة الآخرين وحكمتهم ، واختيار حكم من أهل الزوجة لدراسة اسباب النزاع ، ووضع خطة لرأب الصدع وتلافى الأنفصال ويمكن أن يرفعا توصيتهما للقاضى ، إذا كان الأمر قد وصل إلى القضاء ، قال تعالى : ﴿ وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها إن يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما إن الله كان عليما خبيرا ﴾ (النساء : ٣٥) .

---

(١) الموسوعة ٤/٥١٧ ـ ٥١٨ .

فإذا استحالت الحياة بين الزوجين ، وانعدم التوافق بينهما، ولم يمكن التوفيق بينهما بحال . وإذا تكرر العجز عن الصلح كان الفراق : « وإن يتفرقا يغن الله كلا من سعته » .

وقد حذر الإسلام من الطلاق لما يترتب عليه من تصدع الأسر وتشرد الذرية ، وضياع الأجيال .

قال رسول الله ﷺ « إن الله لا يحب الذواقين ولا الذواقات فاذا تزوجتم فلا تطلقوا » .

والذواق هو الذى ينظر للمرأة كالفاكهة يذوق طعمها ، ويرغب فى الانصراف إلى أخرى .

والذواقات المرأة التى تطلق من زوج لتتزوج ثانيا وثالثا ، فالزواج عندها رغبة فى رجل ثم تنصرف عنه إلى آخر .

ولهذا أمر الدين بغض البصر ، وحفظ الفرج ، والبعد عن الحرام ، وإذا رغب الرجل فى امرأة أخرى فليذهب إلى زوجته وليجامعها ، وليلزم القناعة والالتزام بحدود الله ، وليبتعد عن ظلم المرأة أو الأعتداء عليها ، وليحذر التخلى عن زوجته إلى زوجة أخرى ، فإن عين الله ساهرة لا تنام وهو لا يرد دعوة المظلوم ، قال الشاعر :

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدرا　　الظلم شيمته يدعو إلى الندم
تنام عيناك والمظلوم منتبه　　يدعو عليك وعين الله لم تنم

وفى الأثر إن امرأة خاصمت زوجها إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، وصرحت للخليفة العادل بأنها لا تحب زوجها ، فقال لها عمر :

« إذا كانت أحداكن لا تحب الرجل منا ، فلا تخبره بذلك ،

فان أقل البيوت ما بنى على المحبة ، وإنما يتعاشر الناس بالحب والإسلام » .

يعنى إن التزام كل من الزوجين بحفظ شرف الآخر ، والعمل لما يرشد إليه الإسلام من الواجبات والاداب الزوجية ، هو الذى تنتظم به الحياة الزوجية .

وينبغى لكل من الزوجين أن يتكلف التحبب إلى الآخر بأكثر مما يجده فى قلبه ، فإن التطبع يصير طبعا .

قالت عليه بنت المهدى أخت هارون الرشيد : تحبب فإن الحب داعية الحب .

وفى الحديث الشريف يقول النبى ﷺ : « العلم بالتعلم ، والحلم بالتحلم ، والصبر بالتصبر » .

إن قناعة الزوجة ورضاها سبب من أسباب رضوان الله عليها ، وإذا ماتت الزوجة وزوجها عنها راض دخلت الجنة . وإذا أفسدت الحياة الزوجية ، ورغبت فى الطلاق عدوانا على زوجها ، أو تطلعا إلى زوج آخر، فإنها تحرم من رائحة الجنة .

روى الخمسة إلا النسائى ، وحسنه الترمذى عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ : « أيما امرأة سألت زوجها الطلاق من غير ما سبب فحرام عليها رائحة الجنة » .

وروى الحاكم وصححه ، وأبو داود وابن ماجة عن ابن عمر عن النبى ﷺ قال : « أبغض الحلال إلى الله عز وجل الطلاق » .

النسل والذرية

(أ) الثمرة الطبيعية للزواج ، هى النسل والذرية والأولاد ، والولد نعمة امتن الله بها علينا فى كتابه الكريم .

قال تعالى : ﴿ والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً ، وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ، ورزقكم من الطيبات أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله هم يكفرون ﴾ (النحل : ٧٢) .

والتصاق الأم بالحمل وبالرضاع وبالرعاية أظهر وأوضح ، قال تعالى : ﴿ ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن ، وفصاله في عامين ، أن اشكر لى ولوالديك إلى المصير﴾ (لقمان : ١٤) .

وقال سبحانه : ﴿ ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا حملته أمه كرها ، ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهرا ﴾ (الأحقاف : ١٥)

كما وصى القرآن برعاية الوالدين ، والأعتراف لهما بالجميل ، خصوصا فى مرحلة الكبر والشيخوخة فقال سبحانه : ﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما ، واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا ﴾ (الإسراء: ٢٤)

(ب) وقد حث الإسلام على أن يحتفى بالمولود وأن يبشر به والده ويهنأ به ، وشرع العقيقة وهى ذبح شاة شكرا لله على ولادة المولود .

قال تعالى : ﴿ فنادته الملائكة وهو قائم يصلى فى المحراب أن الله يبشرك بيحيى ﴾ (آل عمران : ٣٩)

ولما ولدت مارية القبطية إبراهيم ، خرجت سلمى ـ قابلتها ـ إلى زوجها أبى رافع فأخبرته بذلك ، فجاء أبو رافع إلى

النبى ﷺ فبشره فأهدى إليه هدية على بشارته[1] .

ولقد أبطل الإسلام عادات الجاهلية فى التفرقة بين البشارة بالذكر والبشارة بالأنثى .

(جـ) وحث الإسلام على حسن تسمية المولود ، لما للأسم الجميل من آثار نفسية وتربوية كثيرة متنوعة ، فهو يدخل السرور والغبطة على نفس المسمى ، ويدخل الفخر والراحة على نفس أبويه وخاصته ، روى أبو داود وابن حبان عن أبى الدرداء أن رسول الله ﷺ قال « إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم فحسنوا اسماءكم » .

وروى مسلم وأبو داود والترمذى وابن ماجة أن رسول الله ﷺ قال : « أحب الأسماء إلى الله : عبدالله وعبدالرحمن » .

وكره النبى ﷺ التسمية بالأسماء الصعبة والمعانى المكروهة مثل : حرب وحزن ولهب ونيران ومرة وكلب . وقد حرم الإسلام بعض الأسماء مثل : ملك الملوك ، أو سلطان السلاطين ، أو شاهنشاه .

وقد روى الشيخان أن رسول الله ﷺ قال : « إن أخنع اسم عند الله رجل يسمى ملك الأملاك » .

وكذلك التسمية بأسماء الله مثل : عزيز ورحيم وجبار ، وكلكم سيد الناس وسيد الكل ، وسيد ولد آدم ، لأن ذلك ليس لأحد إلا لرسول الله ﷺ .

وقد كان رسول الله عليه الصلاة والسلام يغير الأسماء القبيحة فى أصحابه فغير اسم عاصية إلى جميلة ، وحرب إلى سلم ، وحزن إلى سهل ، والعاص إلى عبدالله ، وغراب إلى مسلم[2] .

(١) تحفة المودود في أحكام ، لابن قيم الجزية ، ص ٦١ .
(٢) صحيح مسلم ، وتحفة المودود . والترغيب والترهيب ٤ /١٣٩ .

(د) ومن أحكام المولود ذبح عقيقة عنه وهى شاه تذبح للمولود تيمنا بولادته ، وشكرا لله على نعمه ، واطعاما للفقراء والمساكين ، ورغبة فى أن يحفظه الله من السوء .

روى البخارى أن رسول الله ﷺ قال : « مع الغلام عقيقة فاهرقوا دما وأميطوا عنه الأذى » .

وروى أصحاب السنن أن رسول الله ﷺ قال : « كل غلام رهين بعقيقته ، تذبح عنه يوم سابعة ، ويسمى فيه ، ويحلق رأسه » .

وروى أبو داود أن رسول الله ﷺ عق عن الحسن والحسين كبشا .

(هـ) ومن مظاهر الفرح بالمولود الجديد : حلق رأسه فى اليوم السابع من ولادته والتصدق على الفقراء بزنة شعره فضة أو ذهبا ، ففى الحديث الشريف عن على رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ أمر فاطمة فقال : « زنى شعر الحسين وتصدقى فى وزنه فضة ، وأعطى القابلة من العقيقة [1] » . وفى الموطأ : وزنت فاطمة شعر الحسن والحسين وزينب وأم كلثوم ، فتصدقت بوزن ذلك فضة [2] .

(و) ومن حقوق الطفل على والديه إثبات نسبه منهما حفظا له من الضياع والمذلة ، وثبوت نسبه آيه من آيات القدرة الألهية قال تعالى : ﴿ وهو الذى خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا ﴾ (سورة الفرقان : ٥٤) .

وثبوت النسب حق يثبت للطفل بمجرد ولادته ، من غير حاجة إلى إجراءات من أى نوع ، فوجود الزوجية يكفى فى

(١) تحفة المودون باحكام المولود ، لابن قيم الجوزيه .
(٢) تنوير الحوالك شرح موطأ الامام مالك ٢ / ٤٥

اثبات أن الوليد ينتسب إلى أبويه ، قال ﷺ : « الولد للفراش وللعاهر الحجر » [1] .

ونظرا لأهمية الأنتساب الحقيقى إلى الأسرة ، ضرورة الأندماج الأسرى عن هذا الطريق ، أنكر الإسلام نظام التبنى الذى كان معمولا به فى الجاهلية ، ولا يزال كذلك فى كثير من تشريعات العالم الغربى ، فحرمه الإسلام نظرا لما يؤدى إليه من اختلاط الأنساب ، وأفساد مقومات الأسرة .

قال تعالى : ﴿ وما جعل ادعياءكم ابناءكم ، ذلكم قولكم بأفواهكم والله يقول الحق وهو يهدى السبيل﴾ (الأحزاب : ٦)

وقال سبحانه : ﴿ أدعوهم لآبائهم هو اقسط عند الله فإن لم تعلموا آباءهم فأخوانكم فى الدين ومواليكم ﴾ (الأحزاب : ٥)

وفى مقابل ذلك شدد الأسلام النكير على من ينتسب لغير أبيه وهو يعلم ، وعلى من ينكر نسب ولده وهو يعرف .

(ز) ومن المسئوليات المشتركة فى هذا الصدد . رضاعة الطفل ، فهى تجب على أبويه ديانة وقضاء بالأجماع ، على الأم بالفعل ، وعلى الأب بالنفقة والأجرة لها أو لغيرها من المرضعات ، وقد أفاض العلم الحديث فى بيان أهمية رضاعة الأم ، وأن هذه الرضاعة لا تغنى عنها الوسائل الصناعية فى الرضاع مهما تعددت أشكالها وأساليبها .

وجملة القول أن كل أمر يخص الوليد فى مراحله المتقدمة هو من المسئوليات المشتركة على الزوج والزوجة ، وقد سن الإسلام فى ذلك أرشد السنن ، وأهدى السبل ، إحتفاء بالنسب، وتكريما له ، وتعظيما لشأنه [2] .

---

(١) اخرجه الجماعة إلا ابو داود .

(٢) فلسفة نظام الأسرة فى الإسلام ، ١٥٥ – ١٦٠ ، بتصرف .

وقد ادعى بعض المستشرقين أن القرآن لم يهتم بتربية الاطفال ورعايتهم وتأديبهم ، وينبغى أن نعرف أن الوحى كان ينزل ليبنى الفرد المسلم والأسرة المسلمة ، وكان سلوك الرسول العملى وتوجيهاته لأصحابه ، هى المحضن الطبيعى الذى نشأ فيه أطفال الصحابة ، وقد نشأ هؤلاء الأطفال حول القرآن والسنة وعمل الصحابة وسلوك المجتمع ، وامتصوا من المجتمع حولهم أهداف الإسلام وآدابه .

ولم تكن التربية كلاما منفصلا عن السلوك ، بل كانت وحياً يطبق وقرآنا يتحرك وسنة تنفذ . فالمستشرقون يقيسون نمط التربية الإسلامية على أنماط أخرى من التربية ، وهو قياس مع الفارق ، لأن لكل نوع من أنواع التربية فلسفة معينة ولا يصح أن نقايس بين نمط للتربية فى القرن العشرين ، ونمط فى القرن السادس الميلادى ، مع اختلاف المناخ والعصر ، ومع هذا ففى القرآن والسنة والتراث الإسلامى ، أدب متكامل لنشأة الأطفال ورعايتهم وتربيتهم ، وقد سجل ذلك فى كتب التربية الإسلامية ، مثل رياضة الاطفال والغلمان وتعليمهم وتأديبهم ، وهو ضمن موسوعة كبيرة كتبها أبو حامد الغزالى بعنوان : إحياء علوم الدين .

ولابن خلدون كتاب فى رياضة الأطفال وتربيتهم ، ومثل ذلك لسحنون ، وفى كتب الفقة نجد فصولا وفقرات عن ولادة الصبى وتربيته وكيفية تعليمه ، وتدريبه على الصلاة والصيام والزكاة والحج .. وفى تسوية الصفوف فى صلاة الجماعة يصفّ الرجال ثم الصبيان ثم النساء .

العناية بتربية البنات

كان العرب كأكثر الناس يكرهون البنات ، وقد شنع القرآن على هذه العادة وبين أن الرزق من عند الله وأن الله يرزق البنت كما يرزق أباها ، وربما رزق الأب من أجل وليدة عنده ، وتوالت الأحاديث الصحيحة توجه المسلمين إلى رعاية الذرية وتحث على إكرام البنات وتربيتهن وتأديبهن ، والمساهمة فى تزويجهنّ ، والاشراف على شؤونهن ، وتحمل مسئوليتهن ، وإليك طائفةَ من هذه الأحاديث النبوية الكريمة :

١ - روى البخارى ومسلم والترمذى عن عائشة قالت : «دخلت على إمرأة ومعها ابنتان لها تسأل ، فلم تجد عندى شيئا غير تمرة واحدة ، فأعطيتها أياها فقسمتها بين ابنتيها ولم تأكل منها ، ثم قامت فخرجت ، فدخل النبى ﷺ علنا فأخبرته ، فقال : من ابتلى من هذه البنات بشئ فأحسن إليهن كن له سترا من النار « وفى لفظ » من ابتلى بشئ من البنات فصبر عليهن كن له حجابا من النار » .

٢ - وفى صحيح مسلم عن عائشة قالت : « جاءت مسكينة تحمل ابنتين لها فأطعمتها ثلاث تمرات ، فأعطت كل واحدة تمرة ، ورفعت إلى فيها تمرة لتأكلها فاستطعمتها أبنتاها ، فشقت التمرة التى كانت تريد أن تأكلها بينهما ، فأعجبنى شأنها فذكرت الذى صنعت لرسول الله ﷺ فقال : « إن الله قد أوجب لها بها الجنة ، أو أعتقها بها من النار » .

٣ - وفى صحيح مسلم عن أنس رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو - وضم أصابعه - أى معا . « وفى لفظ الترمذى » من

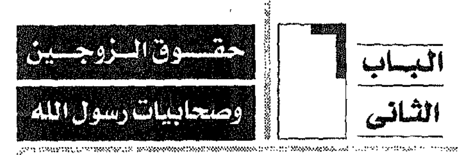
عال جاريتين دخلت أنا وهو الجنة كهاتين « وأشار بأصبعيه .
ولأبن حبان فى صحيحه ولفظه قال رسول الله ﷺ : « منْ عال ابنتين أو ثلاثا أو اختين أو ثلاثا ، حتى يبلغن أو يموت عنهن ، كنت أنا وهو فى الجنة كهاتين » وأشار بأصبعيه السبابة والتى تليها .

٤ – روى ابن ماجة باسناد صحيح ، وابن حبان فى صحيحه ، والحاكم وقال صحيح الاسناد ، عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ : « ما من مسلم له ابنتان فيحسن إليهما ما صحبتاه أو صحبهما إلا أدخلتاه الجنة » .

٥ – روى الطبراني عن عوف بنْ مالك أن رسول الله ﷺ قال « ما من مسلم يكون له ثلاث بنات فينفق عليهن حتى يبلغن أو يمتن ألا كن له حجابا من النار « فقالت له امرأة أو بنتان ؟ قال : « أو بنتان » وللحديث شواهد كثيرة .

وروى الترمذى عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله ﷺ : « من كان له ثلاث بنات أو ثلاث أخوات ، أو بنتان أو اختان فأحسن صحبتهن وأتقى الله فيهن فله الجنة » . ورواه أبو داود بلفظ « فأدبهن وأحسن إليهن وزوجهن فله الجنة » ، ورواه أيضا ابن حبان فى صحيحه .

وفى رواية للترمذى قال رسول الله ﷺ : « لا يكون لأحدكم ثلاث بنات أو ثلاث أخوات فيحسن إليهن إلا دخل الجنة » .



صحابيات رسول الله صلى الله عليه وسلم

بين جبال مكة ووهادها، نزل وحى السماء على محمد بن عبدالله برسالة الله إلى الخلق أجمعين:

﴿ ياأيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر وثيابك فطهر﴾ (المدثر : ١ ـ ٤) وجهر النبى الأمين بدعوته، وجمع الناس من أهل مكة ووقف بينهم يقول: (لو أخبرتكم أن خيلا بالبوادى تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقى ؟) قالوا نعم ما جربنا عليك كذبا.

فقال النبى صلى الله عليه وسلم: «والله الذى لا إله إلا هو إنى لرسول الله اليكم خاصة وإلى الناس عامة».

وتبع ذلك جهاد فى تبليغ الدعوة والرسالة فى مكة والمدينة. وكانت الدعوة عامة للرجال والنساء، والعرب والعجم والأبيض والأحمر.

دعوة لتحرير الانسان من العبودية والذل، وتكريم إنسانية الانسان.

تكريم الرجل والمرأة. وقد آمن به الرجال والنساء واحتملت المرأة مع الرجل جانبا من العذاب والهجرة والجهاد والبناء. ودفعت المرأة ضريبة الايمان من التضحية والفداء والشهادة وكانت سمية أم عمار بن ياسر أول شهيدة، طعنها اللعين

أبو جهل بحربة فى قلبها فماتت، وفى شأنها وشأن أسرتها قال النبى صلى الله عليه وسلم: (صبرا آل ياسر إن موعدكم الجنة).

واستمرت الدعوة الاسلامية فى طريقها. وهاجر الرجال والنساء إلى الحبشة مرتين كما هاجر الرجال والنساء إلى المدينة المنورة.

وكان الاسلام دعوة للإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر.

ومنهاجا للحياة الكريمة والعمل النافع والسلوك المستقيم.

وعنى الاسلام بشأن المرأة وليدة وناشئة وزوجة وأما.

وأثبت حق المرأة فى الميراث، وفى الحياة الكريمة، ورسم لها: مالها وما عليها، وصدق الله العظيم :

﴿ ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة﴾ (سورة البقرة : ٢٨٨)

فللمرأة حقوق: هى المهر والنفقة والعشرة بالمعروف، وعليها واجبات هى طاعة الزوج والمحافظة على شرفه وماله ورعاية الأسرة، واضفاء لمسة الحنان والحب والوفاء على المنزل، قال ﷺ (ألا أدلكم على خير ما يكنز الرجل فى بيته، امرأة صالحة إذا نظر إليها زوجها سرته وان أمرها إطاعته وان غاب عنها حفظته فى ماله وعرضه).

إن هذا الاسلام كان يحمل فكرا جديدا ونورا جديدا وروحا جديدا، كان يحمل فضائل الدنيا، ويرسم الطريق القويم للسلوك الأمثل للرجال والنساء وحين قالت أم سلمة يارسول الله ما بال القرآن يذكر الرجال ولا يذكر النساء أنزل الله تعالى ثلاث آيات جوابا على تساؤل أم سلمة :

الآية الأولى هى الآية ٣٥ من سورة الاحزاب وفيها يقول الحق سبحانه:

﴿ إن المسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات، والصادقين والصادقات، والصابرين والصابرات ، والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات، والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما ﴾.

والآية الثانية هى الآية ١٩٥ من سورة آل عمران وهى :

﴿ فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا فى سبيلى وقاتلوا وقتلوا لأكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجرى من تحتها الأنهار ثوابا من عند الله والله عنده حسن الثواب ﴾ .

والآية الثالثة هى الآية ٣٢ من سورة النساء وفيها يقول الحق سبحانه:

﴿ ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن واسألوا الله من فضله ان الله كان بكل شئ عليما ﴾ .

لقد فتح الاسلام أبواب العلم للرجل والمرأة وجعل طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة.

وقد أقبلت النساء في صدر الاسلام على رواية الحديث اقبالا عظيما ، حتى أتى ابن سعد فى الجزء الذى عقده من طبقاته لرواية الحديث من النساء على سبعمائة امرأة روين الحديث من رسول الله ﷺ أو عن بعض أصحابه. وترجم ابن

حجر فى كتـابه (الاصابة فى تمييز الصحـابة) لثلاث وأربعين وخمسمائة وألف من المحدثات، وشهد لهن بالعلم ووثقهن، وقد كتب كثير من العلماء الأوائل عن مركز بعض النساء العلمية كالخطيب البغدادى فى (تاريخ بغداد) والنووى فى (تهذيب الأسماء واللغات) والسخاوى فى (الضوء اللامع)... الخ ونبغ فى التاريخ الاسلامى عالمات خلد التاريخ ذكرهن، فكانت السيدة عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها عالمة جليلة، تحدث الناس، وتصحح للصحابة وتفتيهم، بل وتستدرك على فتاويهم وأقوالهم حتى ألف بدر الدين الزركشى كتابا سماه (الاجابة، لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة [1].

المرأة المسلمة عبر العصور الإسلامي

استمرت مسيرة المرأة المسلمة فى طريق التعليم والمعرفة فى سائر العصور الإسلامية، ومن بين اللائى جمع منهن البخارى أحاديثه كريمة الحرورية والتنوخية، ويشير السبكى فى كتابه طبقات الشافعية إلى كثير من النساء اللاتى كن مرجعا له فى معرفة تقاليد النبى وعاداته.

كما أن عدد النساء اللاتى تبحرن فى الميدان اللغوى والأدبى كان كثيرا. ولم تقتصر النساء على الدراسة بل قمن إلى جانبها بالأشغال المتنوعة فكن يشاركن الرجال فى مهن مختلفة كالتدريس والطب. وذكر ابن خلكان أسماء عدة نساء اشتهرت طالبات للعلم ومحاضرات ومن هؤلاء:

١ ـ أم المؤيد

(١) المراة فى الإسلام بين الماضى والحاضر د. عبدالله شحاته ص ٨١.

٢ ـ فخر النساء شهدة
٣ ـ السيدة نفيسة
٤ ـ مؤنسة الأيوبية
٥ ـ شامية بنت الحافظ
٦ ـ زينب بنت عبداللطيف
٧ ـ شهدة الكاتبة
٨ ـ مريم بنت أبى يعقوب الأنصاري

وما لا حظناه فى الجيل الماضى من تخلف المرأة علميا لم يكن الأصل فيه محاربة الاسلام لتعليم المرأة ، وإنما كان مظهرا من مظاهر الجهل الذى عمت آثاره الرجال والنساء على السواء[1].

ان المرأة حين تعود إلى التعليم فى العصر الحديث فليس ذلك بغريب عن روح دينها ولا عن تراث أسلافها. ونحن نبارك تعليم المرأة ونتمنى أن تحافظ على تقاليدها وقيمها، ونرجو ألا يكون التعليم سبيلا إلى التمرد على القيم والأخلاق الاسلامية بل هو روح جديد يعانق روح القرآن والسنة وهدى الصحابة وسيرة الصحابيات.

وهنا أقدم نماذج مضيئة لصحابيات جليلات كان لهن شرف الصحبة برسول الله صلى الله عليه وسلم فاقتبسن منه الهدى والنور.

لقد كان الرسول الكريم المثل الأعلى ، والنور الهادى والقمة العالية التى حملت وحى السماء وباركت رجال الاسلام ونساءه حتى كانوا خير أمة أخرجت للناس، وقد استضاء

---

(١) تطور النظرية التربوية لأستاذ صالح عبدالعزيز بواسطة كتاب المراة فى التصور الإسلامى للأستاذ عبدالمتعال الجبرى ص ٥٩ ـ ٦٨.

الجميع بنوره ، وقد آثرت أن أقدم هذه التراجم من كتب التراث مثل طبقات ابن سعد، وسيرة ابن هشام وأسد الغابة فى معرفة اصحابة لابن الأثير وقد أفرد الجزء السابع للحديث عن صحابيات رسول الله صلى الله عليه وسلم.

١ - أسماء بنت عميس

أسماء بنت عميس بن معد بن الحارث بن تيم بن كعب بن مالك بن قحافة بن عمر بن ربيعة بن عامر بن معاوية بن زيد ابن مالك بن بشر.

وأمها هند بنت عوف بن زهير بن الحارث الكنانية.

أسلمت أسماء قديما، وقد هاجرت إلى الحبشة مع زوجها جعفر بن أبى طالب فولدت له بالحبشة عبدالله وعونا ومحمدا، ثم هاجرت إلى المدينة فلما قتل عنها جعفر بن أبى طالب تزوجها أبو بكر الصديق، فولدت له محمد بن أبى بكر، ثم مات عنها فتزوجها على ابن أبى طالب، فولدت له يحي، لا خلاف فى ذلك.

روى عن أسماء عمر بن الخطاب، وابن عباس، وابنها عبدالله بن جعفر والقاسم بن محمد، وعبدالله بن شداد، وعروة بن الزبير وابن المسيب وغيرهم وقال لها عمر بن الخطاب: نعم القوم، لولا أنا سبقناكم إلى الهجرة فذكرت ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فقال بل لكم هجرتان إلى أرض الحبشة وإلى المدينة.

وروى أن أسماء بنت عميس قالت يارسول الله: ان ولد جعفر تسرع إليهم العين أفأسترقى لهم؟ قال نعم[1]. رواه

(١) تحفة الاحوذى ، ابواب الطب ، باب ما جاء فى الرقية من العين، الحديث ٢١٣٦ : ٦ - ٢١٩ - ٢٢٠.

الترمذى وقال حسن صحيح.

والرقيا فى الاسلام تكون بقراءة سورة الفاتحة، وقل هو الله أحد، والمعوذتين، وخواتيم سورة البقرة ، وآية الكرسي، وقرأة (باسم الله ما شاء الله لا قوة إلا بالله) و (لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو على كل شئ قدير).

٢ـ أسماء بنت يزيد الأشهلية

أسماء بنت يزيد الأنصارية من بنى عبدالله الأشهل، رسول النساء إلى النبى صلى الله عليه وسلم.

روى عنها مسلم بن عبيد أنها أتت النبى ﷺ وهو بين أصحابه، فقالت بأبى وأمى أنت يارسول الله، أنا وافدة النساء اليك ان الله عز وجل بعثك إلى الرجال والنساء كافة، فآمنا بك وبألهك، وانا معشر النساء محصورات مقصورات، قواعد بيوتكم، ومقضى شهواتكم، وحاملات أولادكم، وانكم معشر الرجال ـ فضلتم علينا بالجمع والجماعات وعيادة المرضى وشهود الجنائز والحج بعد الحج، وأفضل من ذلك الجهاد فى سبيل الله عز وجل، وان الرجل إذا خرج حاجا أو معتمرا أو مجاهدا حفظنا لكم أموالكم، وغزلنا اثوابكم، وربينا لكم أولادكم. أفما نشارككم فى هذا الأجر والخير، فالتفت النبى ﷺ إلى أصحابه بوجهه كله ثم قالت: هل سمعتم مقالة امرأة قط، أحسن من مسألتها فى أمر دينها من هذه، فقالوا يارسول الله ماظننا ان امرأة تهتدى إلى مثل هذا، فالتفت إليها النبى ﷺ فقال: افهمى ايتها المرأة، وأعلمى من خلفك من النساء أن حسن تبعل المرأةلزوجها وطلبها مرضاته، واتباعها موافقته يعدل ذلك كله فانصرفت المرأة وهى تهلل.

أخرجه الثلاثة : البخارى ومسلم وأبو داود.

ويفيد هذا الحديث الشريف أن العلاقة بين الرجل والمرأة علاقة تكامل لا تماثل فالرجل عليه أعباء مالية واجتماعية، والمرأة ميدانها المنزل ورعاية الذرية والاشراف على شئون الأسرة. وهى فى هذا الميدان جندى مجهول لا يضيع أجره ولا ينقص ثوابه عند الله ، ولا غنى للرجل عن المرأة ، ولا غنى للبيت عن المرأة ، وهى حين تقوم بواجبها فى منزلها مع زوجها وأولادها ترضى ربها وضميرها وأمتها قال ﷺ إذا صلت المرأة خمسها وصامت شهرها، وحفظت نفسها، وأطاعت زوجها، دخلت جنة ربها.

٣- بريرة مولاة عائشة

بريرة مولاة عائشة بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنهم، كانت مولاة لبعض بنى هلال فاشترتها عائشة واعتقتها وكان اسم زوجها مغيثا وكان مولى فخيرها رسول الله ﷺ فاختارت فراقه، وكان يحبها، فكان يمشى فى طريق المدينة وهو يبكي، واستشفع إليها برسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال لها فيه، فقالت: أتأمر؟ قال: بل أشفع، قالت: فلا أريده وقد اختلف فى زوجها: هل كان عبداً أو حرا. والصحيح أنه كان عبدا.

وعن عائشة أن النبى ﷺ جعل عدة بريرة حين فارقها زوجها عدة المطلقة.

وروى عن عبد الملك بن مروان أنه قال: كنت أجالس بريرة بالمدينة فكانت تقول لي: ياعبد الملك انى أرى فيك خصالا، وانك لخليق أن تلى هذا الأمر فان وليته فاحذر الدماء فانى

سمعت رسول الله ﷺ يقول: ان الرجل ليدفع عن الجنة بعد أن ينظر إليها بملء محجمه من دم يريقه من مسلم بغير حق.

روى لها البخارى ومسلم وأبو داود.

وحين اتهمت عائشة فى حديث الافك، وتكلم عنها المنافقون، استشار النبى أصحابه، فقال على أهلك ولا نقول إلا خيرا واسأل الجارية تصدقك فسأل بريرة فقالت والله ما أعلم شيئا يغمطها سوى أنها جارية صغيرة تنام عن العجين فتأتى الدواجن فتأكله.

إن الاسلام كرم انسانية الانسان، واهتم بأمر النساء واليتامى والرقيق فأمر باكرام الرقيق والعبيد، وهذه بريرة كانت رقيقة فكرمها الاسلام، وجعل لها الحق فى اختيار نفسها، وجعلها تجالس الخلفاء وتقترح عليهم العدل وعدم إراقة الدماء، وما رفعها إلى هذه المنزلة إلا الاسلام الذى جعل الناس سواسية كأسنان المشط لافضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى والعمل الصالح وصدق الله العظيم ﴿ إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ .

٤ - جميل بنت يسار

جميل بنت يسار، أخت معقل بن يسار المزنية، امرأة أبى البداح، وقد طلقها أبوالبداح فنزلت فيها الآية ٢٣٢ من سورة البقرة وفيها يقول الله تعالى : ﴿وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن إذا تراضوا بينهم بالمعروف ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر ذلكم أزكى لكم وأطهر والله يعلم وأنتم لاتعلمون ﴾ .

روى عن الحسن قال، حدثنى معقل بن يسار أن هذه الآية

نزلت فيه، قال: كنت زوجت أختـا لى من رجل فطلقها حتى إذا انقـضت عـدتها جـاء يخطبـهـا، فقـلت له زوجتك وأكـرمـتك وأفرشتك فطلقتها ثم جـئت تخطبها! لا والله لا تعود إليها أبدا، قال: وكان رجلا لا بأس به، وكـانت المرأة تريد أن ترجع إليه فـأنزل الله عز وجـل هذه الآية فقلت الآن أفـعل يارسـول الله فزوجتها اياه.

ونسـتلهم من قصـة جمـيل، ومن روح القرآن أن الاسـلام يكره الطلاق ويحـاول أن يعـيـد الأسرة إلى الوئام والـصفـاء خصـوصـا إذا ندم الرجل بعـد الطلاق ورغبت المـرأة أن تعود اليه فينبغى لولى أمرها ألا يمنعها من العودة إلى زوجها.

لقد جـعل الله الطلاق ثلاث مرات، لعل الرجـل أن يندم بعد الطلقة الأولى أو الثانية ويحاول أن يصـلح زوجته، فاذا رضيت الزوجة بالعودة فهى أزكى وأطهـر ولعل الله أن يهيئ لهما من أمرهما رشدا.

٥ـ جويرة بنت الحارث

جويرة بـنت الحارث بن أبى ضـرار بن حبيب بن عـائذ بن مالك بن جذيمة ـ وهو المصطلق ـ بن سعد بن عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو مزيقيا.

وعمرو هو أبو خزاعة كلها، الخزاعية المصطلقية.

سـباها رسـول الله ﷺ يوم المـريسـيع، وهى غـزوة بنى المصطلق سنة خمس، وقيل سنة ست، وكانت تحت مسافع بن صفوان المصطلقى، فوقعت فى سهم ثابت بن قيس بن شماس او ابن عم له.

عن عائشة رضى الله عنها قالت لما قسم رسول الله ﷺ سبايا بنى المصطلق، وقعت جويرية فى السهم لثابت بن قيس بن شماس أولا بن عم له، فكاتبته على نفسها، وكانت امرأة حلوة ملاحة لايراها أحد إلا أخذت بنفسه، فأتت رسول الله ﷺ تستعينه فى كتابتها ـ قالت عائشة : فو الله ما هو إلا أن رأيتها فكرهتها، وقلت: يرى منها ما قد رأيت.

فلما دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم، قالت يارسول الله أنا جويرية بنت الحارث سيد قومه ، وقد أصابنى من البلاء مالم يخف عليك ، وقد كاتبت على نفسى ، فأعنى على كتابتى ، فقال رسول الله ﷺ : أو خير من ذلك ، أؤدى عنك كتابتك وأتزوجك ؟ فقالت نعم ، ففعل رسول الله ﷺ فبلغ الناس أنه قد تزوجها، فقالوا أصهار رسول الله ﷺ فأرسلوا ما كان فى أيديهم من بنى المصطلق، فلقد أعتق بها مائة أهل بيت من بنى المصطلق، فما أعلم امرأة، أعظم بركة منها على قومها.

ولما تزوجها رسول الله ﷺ حجبها، وقسم لها وكان اسمها بره فسماها رسول الله ﷺ جويرية (١).

وعن ابن عباس كان اسم ميمونة بره فسماها رسول الله ﷺ ميمونة روت جويرية الحديث عن النبى ﷺ وروى عنها ابن عباس وجابر، وابن عمر ، وعبيد بن السباق وغيرهم.

وكانت جويرية بنت الحارث قبل السبى عند ابن عم لها يقال له ذى الشفر ثم وقعت فى الاسر فأدى الرسول ﷺ

---

(١) طبقات ابن سعد ٨ / ٨٤، واسد الغابة فى معرفة الصحابة لابن الأثير ٧ / ٥٧.

كتابتها وتزوجها بعد زينب بنت جحش، ومات رسول الله ﷺ ولم ينجب منها ولدا [1].

وكانت عابدة كثيرة الصلاة مر عليها رسول الله ﷺ وهى فى مسجد بيتها منقطعة فى صلاتها، ثم مر عليها قريبا من نصف النهار فقال لها مازلت على حالك! قالت نعم قال ألا أعلمك كلمات تقولينها: (سبحان الله عدد خلقه ورضى نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته).

أخرج لها البخارى ومسلم وأبو داود.

لقد تزوج رسول الله ﷺ تسع زوجات وكانت هناك حكمة سامية فى زواجه من كل واحدة منهن، كانت عائشة بنت أبى بكر الصديق. وحفصة بنت عمر بن الخطاب وكان زواجه منهما تكريما لصاحبيه ووزيريه كما كان زواجه من جويرية بنت الحارث رعاية لها وقد وقعت فى الأسر وكانت أيمن أمرأة على قومها فبعد زواجها مباشرة أعتق الصحابة ماتحت أيديهم من الأسرى من بنى المصطلق حتى لا يسترقوا أصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم.

٦- حبيبة بنت سهل الأنصارية

حبيبة بنت سهل الأنصارية، أراد رسول الله ﷺ أن يتزوجها ثم تركها، فتزوجها ثابت بن قيس بن شماس، وهى التى اختلعت من زوجها ثابت بن قيس بن شماس.

وروى أن التى اختلعت من ثابت بن قيس هى جميلة بنت أبى بن سلول. قال أبو عمر: جائز أن يكون حبيبة وجميلة بنت أبى بن سلول اختلعتا من ثابت.

---

(١) سيرة ابن هشام ٢ / ٦٤٦ ، وابن اسحاق.

روى الامام أحمد: (أن حبيبة بنت سهل كانت تحت ثابت بن قيس ابن شماس فكرهته وكان رجلا دميما، فجاءت إلى النبى ﷺ فقالت يارسول الله، انى لأراه ولولا مخافة الله لبزقت فى وجهه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

« أتردين عليه حديقته التى أصدقك ؟ قالت نعم »

فأرسل إليه فردت عليه حديقته، وفرق بينهما، وكان ذلك أول خلع فى الاسلام.

وروى عن عمرة عن حبيبة أن زوجها ثابت بن قيس كان فى خلقه شدة فضربها، ثم أدى ذلك إلى الخلع.

أخرجه البخارى ومسلم وأبو داود.

ان الاسلام قد جعل الطلاق بيد الرجل، ولكنه أباح للمرأة إذا رأت ان الحياة مع زوجها متعسرة أو مستحيلة أن تطلب الخلع وهو مفارقة الزوج لزوجته على مال تؤديه له جزاء طلاقها، ويكره أن يأخذ منها أكثر مما أعطاها. والخلع جائز عند الضرورة وبشرط أن تكون له أسباب جوهرية وهو وسيلة عملية لتخليص المرأة من زواج متعثر لم يحقق أهدافه من المودة والرحمة، وقد ورد فى هدى النبوة تحذير المرأة من طلب الطلاق بدون سبب، لأن كل زواج يحتاج إلى صبر واحتمال وشئ من القناعة، والخلع لا يكون إلا عند الضرورة، عندما تستعصى الحياة الزوجية ولا يستطاع إصلاحها.

٧- حليمة بنت أبى ذؤيب

حليمة بنت أبى ذؤيب واسم أبى ذؤيب: الحارث بن عبدالله بن شجنة بن جابر بن سعد بن بكر بن هوازن.

عن ابن اسحاق لما ولد رسول الله ﷺ التمست أمه له

الرضعاء واسترضع له من حليمة بنت أبى ذؤيب. وهى أم رسول الله ﷺ من الرضاعة.

روى عنها عبدالله بن جعفر بن أبى طالب.

عن عبدالله بن جعفر ابن ابى طالب قال، قالت حليمة بنت الحارث أم رسول الله ﷺ التى أرضعته:

قدمت مكة فى نسوة من بنى سعد بن بكر نلتمس الرضعاء فى سنة شهباء فقدمت على اتان قمراء [1]، كانت أذممت بالركب (أى حبستهم لضعفها وانقطاع سيرها) ومعى صبى لنا وشارف لنا [2]، والله ما ننام ليلنا ذلك أجمع مع صبينا ذاك، وما يجد فى ثديى ما يغنيه، ولا فى شارفنا ما يغذيه، فقدمنا مكة فو الله ما علمت منا امرأة ألا وقد عرض عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاذا قيل : يتيم، تركته وقلنا: (ماذا عسى أن تصنع اليناأمه!! إنما نرجو المعروف من أب الولد، فأما أمه فماذا عسى أن تصنع الينا).

فو الله مابقى من صواحبى امرأة الا وأخذت رضيعا غيري، فلما لم أجد غيره قلت لزوجى الحارث بن عبدالعزي: والله انى لأكره أن أرجع من بين صواحبى ليس معى رضيع، لأنطلقن إلى ذلك اليتيم فلآخذنه، فقال: لا عليك فذهبت، فأخذته، فما هو إلا أن أخذته فجئت به رحلي، فأقبل على ثدياى ، بما شاء من لبن، وشرب أخوه حتى روى، وقام صاحبى إلى شارفى تلك فاذا بها حافل، فحلب ما شرب، وشربت حتى روينا فبتنا بخير ليلة، فقال لى صاحبى: ياحليمة، والله انى لأراك أخذت نسمة مباركة.. الحديث، وذكر فيه من معجزاته ما هو مشهور به ﷺ [3].

---

(١) القمرة بضم فسكون بياض فيه كدره. (٢) الشارف الناقة المسنة.

(٣) سيرة ابن هشام ١ / ١٦٢ ـ ١٦٥.

وكان ﷺ بالجعرانة[١] فأقبلت امرأة بدوية فلما دنت من النبى ﷺ بسط لها رداءه فجلست عليه، وكانت هذه المرأة حليمة السعدية أم النبى التى أرضعته.

وكان اسم زوجها الذى ارضعت رسول الله صلى الله عليه وسلم بلبنه الحارث بن عبد العزى بن رفاعة ابن ملان بن ناصر بن فصية[٢] بن نصر بن سعد بن بكر .

أخرجه البخارى ومسلم وأبو داود .

وكانت لرسول الله ﷺ معجزات متعددة ، منها نبع الماء من بين أصابعه ، ومنها تكثير الطعام ببركة دعائه ، ومنها حنين الجذع إليه ، ومنها الإسراء والمعراج ، ومنها عناية الله به فى الهجرة حيث رد عنه الكفار عند الغار حين رأوا أثر العنكبوت .

من رأى العنكبوت يهزم جيشا لاتقل هاجن ولا سنفردا
لو مد سيف نحو رسول الله لأبى السيف نحوه أن يمدا

٨ - حمنة بنت جحش

حمنة بنت جحش بن رباب :

قال أبو عمرو : حمنة بنت جحش ،كانت تستحاض[٣] هى وأختها أم حبيبة بنت جحش ، وهى أخت زينب بنت جحش أم المؤمنين زوج النبى صلى الله عليه وسلم .

وكانت حمنة زوج مصعب بن عمير ، فقتل عنها يوم أحد ، فتزوجها طلحة بن عبيد الله فولدت له محمداً وعمران ابنى طلحة[٤] .

---

(١) الجعرانة : منزل بين الطائف ومكة وهى إلى مكة اقرب.
(٢) تصغير فصية
(٣) الاستحاضة ان يستمر بالمراة خروج الدم بعد أيام حيضتها المعتادة .
(٤) الاستيعاب ٤ -٨١٣.

وأمها أميمة بنت عبد المطلب ، عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت ممن قال فى الافك على عائشة رضى الله عنها ، فعلت ذلك حمية لأختها زينب ، إلا أن زينب - رضى الله عنها - لم تقل فى الافك شيئاً ، فقال بعضهم : إن حمنة جلدت مع من جلد وقيل لم يجلد أحد ، وكانت من المهاجرات وشهدت أحداً . فكانت تسقى العطشى ، وتحمل الجرحى وتداويهم ، روت عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وروى عنها ابنها عمران ابن طلحة .

أخبرنا غير واحد بإسنادهم عن عمران بن طلحة عن أمه حمنة بنت جحش قالت : كنت استحاض حيضة كثيرة شديدة فأتيت النبى ﷺ أستفتيه وأخبره ، فوجدته فى بيت أختى زينب ، فقلت يارسول الله ، إنى استحاض حيضة كثيرة شديدة ، فما تأمرنى فيها؟ قد منعتنى الصلاة والصيام ، قال أنعت[1] لك الكرسف فإنه يذهب الدم . قلت : هو أكثر من ذلك، قال : فتلجمى[2] . قالت : هو أكثر من ذلك . قال : فاتخذى ثوباً. قالت : هو أكثر من ذلك إنما أثج ثجاً « أى أصب الدم صباً » . أخرجها الثلاثة .

وفى الحديث الشريف أن النبى ﷺ قال للمستحاضة : صلى وإن قطر الدم على الحصر .

والاستحاضة فى اصطلاح الفقهاء : هى ما تراه المرأة من الدم فى غير وقت الحيض والنفاس ولا يمكن أن يكون حيضاً ، كالزائد عن أكثر مدة الحيض أو الناقص عن أقله ، وهو فى

(١) أي اصف لك الكرسف وهو القطن

(٢) تلجمى : أى شدى اللجام يعنى خرقة على هيئة اللجام .

الغالب أصفر بارد رقيق يخرج بفتور على عكس صفات الحيض .

ودم الاستحاضة كر عاف دائم لا يمنع صلاة ولا صوماً .

والمستحاضة ومن به عذر كسلس البول وانطلاق البطن وانفلات الريح والرعاف الدائم والجرح الذى لا يرقأ يتوضأون لوقت كل صلاة ويصلون به ما شاؤوا من الفرائض والنوافل .

والحيض : هو الدم الذى تعتاد المرأة رؤيته فى أيام معلومة « الدورة الشهرية » وأقل مدة الحيض ثلاثة أيام وأوسطه خمسة وأكثره عشرة .

والنفاس هو الدم الخارج عقب الولادة ، وأكثره أربعون يوماً ولا حد لأقله .

ويحرم على الحائض والنفساء كل ما يحرم على الجنب من مس كتابة المصحف والمكث فى المسجد ، ولا يقبل منهما الصوم والصلاة أيام الحيض والنفاس .

وتقضى الحائض والنفساء الصوم ولا تقضيان الصلاة .

ويحرم جماع الحائض والنفساء لقوله تعالي: ﴿ ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء فى المحيض ﴾ .

ويباح للرجل أن يستمتع من زوجته الحائض بما شاء عدا الجماع .

قال ابن عباس رضى الله عنه ، كانت اليهود إذا حاضت المرأة فيهم لم يؤاكلوها ولم يشاربوها ، ويعتزلونها جانباً .

فأنزل الله عز وجل : ﴿ ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء فى المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن ، فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله أن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ﴾ (البقرة : ٢٢٢)

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «اصنعوا كل شيء إلا النكاح » وفى لفظ « إلا الجماع » . رواه الجماعة إلا البخارى .

٩ - خديجة

خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصى القرشية الأسدية أم المؤمنين زوج النبى «ص» أول امرأة تزوجها وأول خلق الله أسلم بإجماع المسلمين لم يتقدمها رجل ولا امرأة .

مات عنها زوجها أبو هالة ، وكانت خديجة امرأة تاجرة ذات شرف ومال تستأجر الرجال فى مالها تضاربهم[1] إياه بشيء تجعله لهم ، فلما بلغها عن رسول الله ما بلغها من صدق حديثه وعظم أمانته وكرم أخلاقه ، بعثت إليه وعرضت عليه أن يخرج فى مالها إلى الشام تاجراً ، وتعطيه أفضل ما كانت تعطى غيره من التجار ، مع غلام لها يقال له ميسرة ، فقبله منها ، وخرج فى مالها ومعه غلامها ميسره حتى قدم الشام فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ظل شجرة قريباً من صومعة راهب ، فاطلع الراهب الى ميسره فقال : من هذا الرجل الذى نزل تحت هذه الشجرة ، قال : هذا رجل من قريش من أهل الحرم . فقال له الراهب : ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبى ، ثم باع رسول الله ﷺ سلعته التى خرج بها واشترى ما أراد ، وربحت تجارته وعلمت خديجه بأخباره فرغبت فى الزواج منه ، وتم هذا الزواج المبارك الذى كان له أبعد الأثر فى تاريخ الدعوة الإسلامية .

---

(١) المضاربة : أن تعطى مالا لغيرك يتجر فيه ، فيكون له سهم معلوم فى الربح

عن عائشة رضى الله عنها قالت أول ما بدى به رسول الله ﷺ من الوحى الرؤيا الصادقة فى النوم ، كان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح . ثم حبب إليه الخلاء فكان يخلو بغار حراء يتعبد فيه الليالى ذوات العدد ثم يعود الى خديجة فيتزود لمثلها ... إلى آخر الحديث .

وفى مسند الإمام أحمد عن ابن عباس قال خط رسول الله « ص » فى الأرض أربع خطوط قال اتدرون ما هذا ؟ قالوا الله ورسوله أعلم ، فقال رسول الله ﷺ أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد ومريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون .

روى البخارى ومسلم وأحمد عن عائشة رضى الله عنها قالت « ما غرت من أحد من ازواج النبى ﷺ ما غرت على خديجة»

وعن عائشة أيضاً أنها قالت « كان رسول الله ﷺ لايكاد يخرج من البيت حتى يذكر خديجة فيحسن الثناء عليها ، فذكرها يوماً من الأيام فأدركتنى الغيرة فقلت هل كانت إلا عجوزاً ، فقد أبدلك الله خيراً منها . فغضب حتى اهتز مقدم شعره من الغضب ، ثم قال : لا ، والله ما أبدلنى الله خيراً منها، آمنت بى إذ كفر الناس ، وصدقتنى وكذبنى الناس وواستنى فى مالها إذ حرمنى الناس ورزقنى الله منها أولاداً إذ حرمنى أولاد النساء قالت عائشة فقلت فى نفسى لا أذكرها بسيئة أبداً . وقد رزق رسول الله من خديجة: القاسم وهو أكبر أولاده وعبدالله وكان يقال له الطيب والطاهر وزينب ثم أم كلثوم، ثم فاطمة ثم رقية.

ونلمح من هذه السيرة العطرة، شمائل النبوة، فقد تزوج

النبي صلى الله عليه وسلم خديجة، وكان عمره الشريف خمساً وعشرين سنة وكان عمرها أربعين سنة، ومكث معها زهرة شبابه حتى ماتت إلى رحمة الله وعمره الشريف خمسون عاماً، ولم يتزوج عليها في حياتها، ثم تزوج بعد ذلك وعمره قرابة اثنين وخمسين عاماً عائشة وكانت صغيرة، وتزوج بقية زوجاته في العقد الأخير من حياته وكل زوجة منهن كان لزواجها حكمة معينة، وكانت زوجاته أمهات المؤمنين، وحاملات للسيرة الخاصة، وقد أدبهن القرآن أدباً خاصاً؛ وجعل منهن مثلاً أعلى لكل امرأة مسلمة، وفي فترة معينة حرم الله على الرسول زواج أي امرأة بعد ذلك حيث قال سبحانه «لا يحل لك النساء من بعد».

١٠ـ الخنساء بنت عمرو

هي الخنساء بنت عمرو بن الشريد بن رباح بن ثعلبة بن عصية ابن خفاف بن امرئ القيس بن بهثة بن سليم السلمية الشاعرة.

قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قومها فأسلمت معهم فذكروا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يستنشدها ويعجبه شعرها، فكانت تنشده ويقول : هيه يا خناس ، قالوا: وكانت تقول في أول أمرها البيتين والثلاثة حتى قتل أخوها معاوية ـ وهو شقيقها ـ قتله هاشم وزيد المريان ، وقتل صخر وهو أخوها لأبيها، وكان احبهما إليها، وكان حليماً جواداً محبوباً في العشيرة، طعنه ابو ثور الأسدي، فمرض منها قريباً من سنة، ثم مات فلما مات أكثرت أخته من المراثي فأجادت ، ومن قولها في صخر أخيها:

أعيني جودا ولا تجمدا ألا تبكيان لصخر الندي؟
ألا تبكيان الجرىء الجميل ألا تبكيان الفتى السيدا ؟
طويل العماد عظيم الرماد ساد عشيرته أمردا[١]

ولها فيه:

أشم أبلج [٢] يأتم الهداة به كأنه علم فى رأسه نار
وان صخرا لمولانا وسيدنا وان صخرا إذ نشتو لنحار
هباط أودية حمال ألوية شهاد أندية للجيش جرار[٣]

وفى الاستيعاب وخزانة الأدب : ان الخنساء شهدت القادسية ومعها أربعة بنين لها، فقالت لهم أول الليل: يابنى، انكم أسلمتم وهاجرتم مختارين ، والله الذى لا إله غيره انكم لبنو رجل واحد كما أنكم بنو امرأة واحدة، ماخنت أباكم ولا فضحت خالكم ولا هجنت حسبكم، ولا غيرت نسبكم، وقد تعلمون ما أعد الله للمسلمين من الثواب الجزيل فى حرب الكافرين، واعلموا أن الدار الباقية خير من الدار الفانية، يقول الله عز وجل : ﴿ياأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ، رابطوا، واتقوا الله لعلكم تفلحون﴾.

فإذا أصبحتم غدا ان شاء الله سالمين فاغدوا إلى قتال عدوكم مستبصرين وبالله على أعدائه مستنصرين، وإذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها، واضطرمت لظى على سياقها، وجللت نارا على أرواقها، فتيمموا وطيسها[٤]، وجالدوا رئيسها، عند احتدام خميسها [٥] تظفروا بالغنم والكرامة فى دار الخلد والمقامة ، فخرج بنوها قابلين لنصحها، وتقدموا فقاتلوا وهم يرتجزون، أبلوا بلاء حسنا ، واستشهدوا رحمهم الله ، فلما

(١) العماد والعمود الخشبة التي يقوم عليها البيت، والعرب تضع البيت موضع الشرف والنسب والحسب.
(٢) أبلج : طلق الوجه.
(٣) ديوان الخنساء ٤٨.
(٤) الوطيس : شبه التنور، اي اقصدوا اشد أماكن القتال.
(٥) الخميس : الجيش.

بلغها الخبر قالت : الحمد لله الذى شرفنى بقتلهم ، وأرجو من ربى أن يجمعنى بهم فى مستقر رحمته .

وكان عمر رضى الله عنه ، يعطى الخنساء أرزاق أولادها الأربعة لكل واحد مائتا درهم حتى قبض رضى الله عنه .

١١ - خولة بنت ثعلبة

خولت بنت مالك بن ثعلبة بن أسرم بن فهر بن ثعلبة بن غنم بن عوف . عن يوسف بن عبد الله بن سلام قال : حدثتنى خولة بنت ثعلبة امرأة أوس ابن الصامت ، أخى عبادة بن الصامت قالت : فى والله وفى أوس بن الصامت أنزل الله عز وجل صدر صورة « المجادلة» قالت : كنت عنده ، وكان شيخاً كبيراً قد ساء خلقه وضجر ، وقالت : فدخل على يوما فراجعته فى شئ فغضب وقال : « انت على كظهر أمى » ثم خرج فجلس فى نادى قومه ساعة ، ثم دخل على فاذا هو يريدنى على نفسى . فقلت : كلا ، والذى نفس خوله بيده لاتخلص إلى وقد قلت ما قلت حتى يحكم الله ورسوله فينا [1] بحكمه ، قالت: فواثبنى وامتنعت منه ، فغلبته بما تغلب به المرأة الشيخ الضعيف ، فألقيته عنى . قالت : ثم خرجت إلى بعض جاراتى فاستعرت منها ثيابها ، ثم خرجت حتى جئت رسول الله ﷺ فجلست بين يديه ، فذكرت له ما لقيت منه ، وجعلت أشكو إليه ما ألقى من سوء خلقه . قالت : فجعل رسول الله ﷺ يقول : يا خولة ابن عمك شيخ كبير فاتقى الله فيه . قالت : فوالله ما برحت حتى نزل فى القرآن ، فتغشى رسول الله ﷺ ما كان

---

(١) فى المسند (فينا بحكمه) .

يتغشاه ، ثم سرى عنه فقال : يا خولة ، قد أنزل الله فيك وفى صاحبك . ثم قرأ على : « قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى إلى الله » .. الآيات ، إلى قوله : « وللكافرين عذاب أليم » قالت : فقال رسول الله ﷺ مريه فليعتق رقبه . قالت : فقلت : والله يا رسول الله ما عنده ما يعتق . قال : فليصم شهرين متتابعين . قالت : فقلت : والله انه شيخ كبير ، مابه من صيام. قال : فليطعم ستين مسكينا وسقا من تمر [1] . قالت فقلت : يا رسول الله ، ماذاك عنده ! قالت : فقال رسول الله ﷺ : فانا سنعينه بعرق [2] من تمر . قالت : فقلت : يا رسول الله ، وأنا سأعينه بعرق آخر . قال : فقد أصبت وأحسنت ، فاذهبى فتصدقى به عنه ثم استوصى بابن عمك خيرا . قالت : ففعلت [3] .

روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه خرج ومعه الناس ، فمر بعجوز فجعل يحدثها وتحدثه ، فقال رجل : يا أمير المؤمنين ، حبست الناس على هذه العجوز ؟! قال : ويلك ! تدرى من هذه ؟ هى امرأة سمع الله عز وجل شكواها من فوق سبع سموات ، هذه خولة بنت ثعلبة التى أنزل الله فيها : ﴿ قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها ﴾ . والله لو أنها وقفت إلى الليل ما فارقتها إلا للصلاة ، ثم أرجع .

١٢ - الربيع بنت النضر

الربيع - تصغير الربيع أيضاً - هى بنت النضر ، وهى

(١) الوسق : ستون صاعاً .

(٢) العرق : هو زنبيل منسوج من نسائج الخوص ، وكل شئ مضفور فهو عرق وعرقة بفتح الراء فيهما .

(٣) مسند الإمام احمد : ٦/٤١٠/٤١١ .

أنصارية من بنى عدى ابن النجـار ، وهى أم حارثة بن سراقة الذى استشهد بين يدى رســول الله ﷺ ببدر ، فأتت أمه الربيع رسول الله ﷺ فقالت يا رسول الله اخبرنى عن حارثة فان كان فى الجنة صبرت واحـتسبت ، وإن كان غير ذلك اجـتهدت فى البكاء فقال : إنها جنات ، وانه أصاب الفردوس الأعلى[1].

وهذه الربيع هى التى كســرت ثنية امرأة ، فعرضــوا عليهم الأرش[2] فــأبوا وطلبــوا العــفــو فــأبوا وأتو النبى ﷺ فــأمــر النبى ﷺ بالقــصــاص فــقام أخــوها أنس بــن النضر فــقــال : يا رسول الله أتكسر ثنية الربيع لا والذى بعثك بالحق لا تكسر ثنيتها فعفا القوم بــعد أن كانوا أمتنعوا ، فقال رسول الله ﷺ : « إن من عــباد الله من لو أقــسم على الله لأبره » وقد قــيل : إن التى فعلت ذلك كانت أخت الربيع .

حــدثنا ثابت ، عن أنــس أن أخت الربيع أم حــارثة جــرحت إنسانا ، فاخــتصموا إلى رسول الله ﷺ فــقال رسول الله ﷺ : القصاص . فقالت أم الربيع : يا رسول الله ، أيقتص من فلانة ! والله لا يقــتص منها أبدا . فــقال رســول الله ﷺ : سبــحان الله يا أم الربيع ! القصـــاص كتاب الله . قالت : والله لا يتــقص منها أبدا. فمــازالت حتى قبلوا ، فــقال رسول الله ﷺ : من عــباد الله من لو أقسم على الله لأبره [3] .

١٣ - رقيقة بنت صيفى

رقيقة بنت صيفى بن هاشم بن عبد مناف .

أوردها الطبرانى وجعفر المستغفرى فى الصحابيات ، وقال

(١) الاستيعاب : ١٨٣٨/٤ .   (٢) الأرش : الدية .

(٣) مسلم : كتاب القامة ، باب (إثبات القصاص فى الأسنان وما فى معناها) ، ١٠٥/٥ ـ ١٠٦ .

أبو نعيم : لا أراها أدركت البعثة والدعوة .

أخبرنا مخرمة بن نوفل عن أمه رقيقة ـ قال : وكانت لدة[1] عبد المطلب بن هاشم ـ قالت : تتابعت على قريش سنون أقحلت الضرع ، وأدقت العظم ، فبينما أنا راقدة ـ اللهم أو مهمومة ـ إذ أنا بهاتف يصرخ بصوت صحل[2] يقول : يا معشر قريش ، إن هذا النبى مبعوث ، قد أظلتكم أيامه ، وهذا ابان نجومه ، فحى هلا بالحيا والخصب ، ألا فانظروا رجلا منكم وسيطا ، عظاما جساما ، أبيض بضا ، أوطف الأهداب ، سهل الخدين ، أشم العرنين ، له فخر يكظم عليه ، وسنه تهدى إليه ، فليخلص هو ووالده ، وليهبط إليه من كل بطن رجل فليشنوا من الماء ، وليمسوا من الطيب ، وليستلموا الركن ، ثم ليرقوا أبا قبيس ، ثم ليدع الرجل ، وليؤمن القوم فغثتم ما شئتم . فأصبحت ـ علم الله ـ مذعورة ، اقشعر جلدى، ودله عقلى[3] ، واقتصصت رؤياى ، ونمت فى شعاب مكة ، فو الحرمة والحرم ما بقى بها أبطحى إلا قال : هذا شيبة الحمد . وتناهت إليه رجالات قريش وهبط إليه من كل بطن رجل ، فشنوا ومسوا واستلموا ، ثم ارتقوا أباقيس واصطفوا حوله ما يبلغ سعيهم مهله ، حتى إذا استووا بذروة الجبل ، فقام عبد المطلب ومعه رسول الله ﷺ غلام قد أيفع ، أو كرب ، فرفع يديه فقال : اللهم ساد الخلة ، وكاشف الكربة ، أنت معلم غير معلم ، ومسئول غير مبخل ، وهذه عبداك واماؤك بعذرات حرمك يشكون اليك سنتهم التى أذهبت الخف والظلف ، اللهم

(١) سياتى فى نهاية الترجمة شرح ابن الأثير لغريب هذا الحديث ،وسنشرح ما أغفله.
(٢) أى : فيه بحة .
(٣) أى : تحير .

فأمطر علينا مغدقا مرتعا . فورب الكعبة ما راموا حتى تفجرت السماء مـا فيها ، واكـتظ الوادى بشـجيجـه ، فسمعت شـيخان قريش وجلتها : عبد الله بن جـدعان ، وحرب بن أمية ، وهشام بن المغـيرة يقولون لعـبد المطلب : هنيئـاً لك أبا البطحاء ، أى عاش بك أهل البطحاء . وفى ذلك تقول رقيقة :

بشيبة الحمد اسقى الله بلدتنـا   وقـد فقدنا الحيا واجلوذ المطر

فجاد بالمـاء جـونى له سـبل   سحا، فعاشت به الأنعام والشجر

منا من الله بالميمون طـائره   وخير من بشرت يوما به مضر

مبارك الأمر يستسقى الغمام به   مافى الأنـام له عـدم ولا خطر

أخـرجـه أبو نعـيم وأبو مـوسـى ، وقـال أبو مـوسـى : هذا حديث حسن عال ، فى هذا الحديث غريب نشرحه مختصرا .

قوله : لدة عبد المطلب ، أى : على سنة . وأقحلت : أيبست . وأدقت العظم ، أى : جعلته ضعـيفا من الجهد ، وروى : أرقت ، بالراء . والتهـويم أول النوم ، والإبان : الوقت . وحى هلا كلمة تعـجيل . والحـيا ـ مـقصـور ـ المطر والخـصب ، أى : أتاكم المطر والخصب عاجلا . والوسيط : النسيب . والعظام ـ بضم العـين ـ: أبلغ من العظيم ، وكـذلك الجسـام أبلغ من الجسـيم . والبض : الرقيق البشرة. والأوطف : الطويل، والأشم : المرتفع .

وقوله : له فـخر يكظم عليـه ، أى : يخفـيه ولا يفـاخر به . والسنة : الطريقة وتهدى إليه ، أى : تدل الناس عليه . فليشنوا ـ بالسين والشين ـ أى : فليصبوا ومعناه : فليغتسلوا . فغثتم، أى : أتاكم الغيث والغوث . ونمت : أى : فشت وشـيبة الحمد : لقب عـبـد المطلب ، وتناهت إليـه ـ وفى رواية ـ : تنامت إليـه ومعنـاهما واحد ، أى : جـاءوا كلهم ، ويعنى بقـوله : رجالات

قريش : رؤساؤهم . ومهله : سكونه[1] .

وقوله : كرب ، أى : قرب . والخلة : الحاجة . والعبدى - مقصور - : العباد والعذرات : الأفنية . والسنة : القحط والشدة. ويعنى بالظلف والخف : الغنم والأبل والمغدق : الكثير. ومرتعا : أى ترتع فيه الدواب : واكتظ : أى ازدحم والشجيج : سيلان كثرة الماء . والشيخان : المشايخ . والجلة: ذوو الأقدار. اجلوذ أى : تأخر . والجونى : السحاب الأسود . وسحا أى : منصبا .

١٤ - رقية بنت رسول صلى الله عليه وسلم

رقية بنت رسول الله ﷺ أمها خديجة بنت خويلد رضى الله عنهما .

روى الزبير بن بكار ، عن عمه مصعب بن عبد الله أن خديجة ولدت لرسول الله ﷺ فاطمة ، وزينب ، ورقية ، وأم كلثوم[2] .

وروى أيضاً عن ابن لهيعة ، عن أبى الأسود أن خديجة ولدت للنبى ﷺ زينب ، ورقية ، وفاطمة ، وأم كلثوم .

وروى محمد بن فضالة قال : سمعت أن خديجة ولدت للنبى ﷺ زينب ، وأم كلثوم ، وفاطمة ، ورقية . وقيل أن فاطمة أصغرهن عليهن السلام .

وقال أبو عمر : لا أعلم خلافا أن زينب أكبر بنات رسول الله ﷺ واختلف فيمن بعدها[3] .

وكان رسول الله ﷺ قد زوج ابنته رقية من عتبة بن

(١) كذا ، وفى النهاية « ما يبلغ سعيهم مهلة : اى ما يبلغ إسراعهم إبطاءه » .
(٢) انظر كتاب نسب قريش : لمصعب : ٢١ .
(٣) الاستيعاب : ٤ / ١٨٣٩ .

أبى لهب ، وزوج أختها أم كلثوم عتيبة بن أبى لهب ، فلما نزلت سورة (تبت) قال لهما أبوهما أبو لهب ، وأمهما أم جميل بنت حرب بن أمية حمالة الحطب : « فارقا ابنتى »[1] محمد ففارقاهما قبل أن يدخلا بهما كرامة من الله تعالى لهما وهوانا لابنى أبى لهب ، فتزوج عثمان بن عفان رقية بمكة ، وهاجرت معه إلى الحبشة ، وولدت له هناك ولدا ، فسماه عبدالله . وكان عثمان يكنى به ، فبلغ الغلام ست سنين فنقر عينه ديك ، فورم وجهه ومرض ومات ، وكان موته فى جمادى الأول سنة أربع، وصلى عليه رسول الله ﷺ ونزل أبوه عثمان فى حفرته .

وقال قتادة : « إن رقية لم تلد من عثمان ولدا» . وهذا ليس بصحيح ، إنما أختها أم كلثوم لم تلد من عثمان ، وكان تزوجها بعد رقية ، وهذا يدل على أن رقية أكبر من أم كلثوم ، ولما سار رسول الله ﷺ إلى بدر كانت ابنته رقية مريضة فتخلف عليها عثمان بأمر رسول الله ﷺ له بذلك ، فتوفيت يوم وصول زيد بن حارثة مبشرا بظفر رسول الله ﷺ بالمشركين، وكانت قد اصابتها الحصبة ، فماتت بها . وقيل : ماتت قبل وصول زيد ، ودفنت عند ورود زيد فبينما هم يدفنونها سمع الناس التكبير ، فقال عثمان : ماهذا التكبير ؟ فنظروا فاذا زيد على ناقة رسول الله ﷺ الجدعاء بشيرا بقتلى بدر والغنيمة ، وضرب رسول الله ﷺ لعثمان بسهمه وأجره ، لاخلاف بين أهل السير فى ذلك .

وقال قتادة : حدثنى النضر بين أنس ، عن أبيه انس قال : خرج عثمان مهاجرا إلى أرض الحبشة ، ومعه زوجته رقية

---

(١) انظر كتاب نسب قريش لمصعب : ٢٢ .

بنت رسول الله ، فاحتبس خبرهم عن النبى ﷺ ، فكان يخرج فيسأل عن أخبارهما ، فجاءته امرأة فأخبرته أنها رأتهما ، فقال النبى ﷺ : صحبهما الله ، إن عثمان أول من هاجر بأهله بعد لوط عليه السلام . (أخرجها الثلاثة)

١٥ - رملة بنت أبى سفيان

رملة بنت أبى سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس ، أم حبيبة القرشية الأموية أم المؤمنين ، زوج رسول الله ﷺ ورضى عنها . وأمها صفية بنت أبى العاص [١] عمة عثمان بن عفان بن أبى العاص . قيل : اسمها رملة . وقيل : هند . أسلمت قديما بمكة ، وهاجرت إلى الحبشة مع زوجها عبيد الله [٢] بن جحش ، فتنصر بالحبشة . ومات بها ، وأبت هى أن تتنصر ، وثبتت على إسلامها ، فتزوجها رسول الله ﷺ وهى بالحبشة ، زوجها منها عثمان بن عفان ، وقيل : عقد عليها خالد بن سعيد بن العاص ابن أمية ، وأمهرها النجاشى عن رسول الله ﷺ أربعمائة دينار ، وأولم عليها عثمان لحما . وقيل : أولم عليها النجاشى ، وحملها شر حبيل ابن حسنة إلى المدينة . وقد قيل : إن رسول الله ﷺ تزوجها وهى بالمدينة .

روى مسلم بن الحجاج فى صحيحه : أن أبا سفيان طلب من النبى ﷺ أن يتزوجها فاجابه إلى ذلك [٣] . وهذا مما يعد من أوهام مسلم ، لأن رسول الله ﷺ كان قد تزوجها وهى

(١) انظر كتاب نسب قريش لمصعب الزبيرى : ١٢٤ وجمهرة انساب العرب : ١١١ .
(٢) فى بعض الكتب اسمه : (عبدالله) والمثبت عن كتاب نسب قريش : ١٢٣ وطبقات ابن سعد : ٨/٦٨ ، وجمهرة انساب العرب : ١٩١ .
(٣) مسلم : كتاب فضائل الصحابة ، باب (من فضائل ابى سفيان بن حرب رضى الله عنه) ٧/١٧١ .

بالحبشة قبل اسلام أبى سفيان ، لم يختلف أهل السير فى ذلك . ولما جاء أبو سفيان إلى المدينة قبل الفتح ، لما أوقعت قريش بخزاعة ، ونقضوا عهد رسول الله ﷺ فخاف ، فجاء إلى المدينة ليجدد العهد ، فدخل على ابنته أم حبيبة ، فلم تتركه يجلس على فراش رسول الله ﷺ وقالت : أنت مشرك .

وقال قتادة : لما عادت من الحبشة مهاجرة إلى المدينة خطبها رسول الله ﷺ فتزوجها وكذلك روى الليث ، عن عقيل ، عن ابن شهاب . وروى معمر ، عن الزهرى : أن رسول الله ﷺ تزوجها وهى بالحبشة . وهو أصح . ولما بلغ الخبر إلى أبى سفيان أن رسول الله ﷺ نكح أم حبيبة ابنته قال : « ذلك الفحل ، لا يقدع أنفه ! » [1] .

وتزوجها رسول الله ﷺ سنة ست ، وتوفيت سنة أربع وأربعين . وقيل : أن رسول الله ﷺ أرسل عمرو بن أمية الضمرى إلى النجاشى يخطب أم حبيبة ، فزوجها إياه [2] .

وروى الزبير بن بكار قال : حدثنى محمد بن الحسن ، عن عبدالله بن عمرو ابن زهير ، عن اسماعيل بن عمرو : أن أم حبيبة قالت : ما شعرت وأنا بأرض الحبشة إلا برسول النجاشى جارية ، فاستأذنت فأذنت لها فقالت : إن الملك يقول لك : أن رسول الله ﷺ كتب إلى أزوجكيه ، فقلت : بشرك الله بخير . فقالت : يقول الملك : وكلى من يزوجك . فأرسلت إلى خالد بن سعيد ، فوكلته ، فأمر النجاشى جعفر بن أبى طالب ومن هناك من المسلمين يحضرون وخطب النجاشى وقال :

---

(١) أى : انه كفء كريم لا يرد . ويروى : (لا يقرع) بالراء ، انظر : النهاية لابن الاثير وطبقات ابن سعد : ٨/ ٧٠ .

(٢) طبقات ابن سعد : ٨/ ٧٠ .

« إن رسول الله ﷺ كتب إلى أن أزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان ، فأجبت إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ وزوجته أم حبيبة ، فبارك الله لرسوله « ودفع النجاشى الدنانير إلى خالد [١] .

وروت عن النبى ﷺ ، وروى عنها أخوها معاوية بن أبى سفيان ، وكان سألها : هل كان النبى ﷺ يصلى فى الثوب الذى يجامع فيه ؟ قالت : نعم ، إذا لم ير فيه أذى . وروى عنها غيره [٢] .

أخبرنا ابراهيم بن محمد وغيره ، قالوا باسنادهم عن أبى عيسى الترمذى حدثناعلى بن حجر ، أخبرنا يزيد بن هارون ، عن محمد بن عبد الله الشعيثى ، عن أبيه ، عن عنبسة بن ابى سفيان ، عن أم حبيبة قالت : قال رسول الله ﷺ من صلى قبل الظهر أربعا وبعده أربعا ، حرمه الله عز وجل على النار[٣].

١٦ - زينب بنت جحش

زينب بنت جحش ، زوج النبى ﷺ ، أخت عبدالله بن جحش، وهى أسدية من أسد بن خزيمة ، وأمها أميمة بنت عبد المطلب ، عمة النبى ﷺ وتكنى أم الحكم .

وكانت قديمة الاسلام ، ومن المهاجرات ، وكان زيد بن حارثة مولى النبى ﷺ قد تزوجها ليعلمها كتاب الله وسنة رسوله ، ثم أن الله تعالى زوجها النبى ﷺ من السماء ، وانزل الله تعالى : ﴿ وإذ تقول للذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه :

---

(١) أخرجه ابن سعد عن طريق عبد الله بن عمرو بن زهير ، انظر الطبقات . ٨/٦٨ - ٦٩.
(٢) مسند الامام احمد : ٦-٣٢٥ ، ٤٢٦/٤٢٧ .
(٣) تحفة الاحوذى ،ابواب الصلاة : ٢/ ٥٠١ - ٥٠٢ .

أمسك عليك زوجك ، واتق الله وتخفى فى نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه ، فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها ﴾ ...(١) الآية . فتزوجها رسول الله ﷺ سنة ثلاث من الهجرة ، قاله أبو عبيدة . وقال قتادة سنة خمس . وقال ابن اسحاق : تزوجها رسول الله ﷺ بعد أم سلمة .

عن ثابت ، عن أنس قال : لما انقضت عدة زينب بنت جحش قال رسول الله ﷺ لزيد بن حارثة : اذهب فاذكرني لها . قال زيد : فلما قال لى رسول الله ﷺ ذلك ، عظمت فى عينى ، فذهبت إليها ، فجعلت ظهرى إلى الباب ، فقلت : يا زينب ، بعث بى رسول الله ﷺ يذكرك ؟ فقالت : ما كنت لأحدث شيئاحتى أوأمر ربى عز وجل . فقامت إلى مسجدها ، وأنزل الله هذه الآية : ﴿ فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها ﴾ فجعل رسول الله ﷺ يدخل عليها بغير إذن (٢) .

عن أنس بن مالك قال : كانت زينب بنت جحش تفخر على نساء النبى ﷺ وتقول زوجنى الله من السماء ، وأولم عليها رسول الله ﷺ بخبز ولحم (٣) .

وكانت زينب كثيرة الخير والصدقة ، ولما دخلت على رسول الله ﷺ كان اسمها برة فسماها زينب . وتكلم المنافقون فى ذلك وقالوا : إن محمدا يحرم نكاح نساء الأولاد . وقد تزوج امرأة ابنه زيد ، لأنه كان يقال له « زيد بن محمد » ، قال الله تعالى : ﴿ ما كان محمدا أبا أحد من رجالكم ﴾ (٤) وقال :

---

(١) سورة الأحزاب ، آية ٣٧ .
(٢) اخرجه ابن سعد فى طبقاته من طريق سليمان بن المغيرة ، انظر : ٨/٤٧٣ .
(٣) اخرجه ابن سعد ايضا فى طبقاته عن طريق عيسى بن طهمان ، انشر : ٨/٧٥ .
(٤) سورة الأحزاب ، آية ٤٠

﴿ ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله ﴾[1] . فكان يدعى « زيد ابن حارثة » وهجرها رسول الله ﷺ وغضب عليها لما قالت لصفية بنت حي : « تلك اليهودية » فهجرها ذا الحجة والمحرم وبعض صفر ، وعاد إلى ما كان عليه . وقيل : إن التى قالت لها ذلك حفصة .

وقالت عائشة : لم تكن أحد من نساء النبى ﷺ تساميني فى حسن المنزلة عنده إلا زينب بنت جحش : وكانت تفخر على نساء النبى ﷺ وتقول : إن آباء كن انكحوكن[2] وإن الله أنكحنى إياه .

وبسببها أنزل الحجاب ، وكانت امرأة صناع اليد ، تعمل بيدها وتصدق به فى سبيل الله .

عن أبى هريرة : أن رسول الله ﷺ قال للنساء عام حجة الوداع هذه ثم ظهور الحصر[3] . قال : فكن كلهن يحججن إلا سودة وزينب بنت جحش ، فانهما كانتا يقولان : والله لا تحركنا دابة بعد إذ سمعنا من رسول الله ﷺ .

عن عائشة بنت طلحة ، عن عائشة أم المؤمنين قالت : قال رسول الله ﷺ : أسرعكن لحوقا بى أطولكن يدا . قالت فكنا نتطاول أينا أطول يدا قالت : فكانت زينب أطولنا يدا لأنها كانت تعمل بيدها ، وتتصدق[4] .

وقالت عائشة : ما رأيت امرأة قط خيرا فى الدين من

---

(١) سورة الاحزاب آية ٥ . (٢) فى بعض الكتب : (انكحكن) . والمراد زوجوكن .
(٣) اخرجه الإمام احمد من طريق ابن ابى ذئب ، بنحوه . انظر المسند : ٢ / ٤٤٦ والحصر ـ بضم فسكون ـ جمع الحصير الذى يبسط فى البيوت ، والمعنى : لا تخرجن من بيوتكن بع هذه والزمن الحصر .
(٤) مسلم :كتاب فضائل الصحابة ، باب (من فضائل زينب ام المؤمنين رضى الله عنها) ٧/١٤٤ .

زينب ، وأتقى لله ، وأصدق حديثا وأوصل للرحم ، وأعظم أمانة وصدقة .

وروى شهر بن حوشب ، عن عبدالله بن شداد أن رسول الله ﷺ قال لعمر بن الخطاب : إن زينب بنت جحش لأواهة . فقال رجل : يا رسول الله ، ما الأواه ؟ قال : المتخشع المتضرع .

وكانت أول نساء رسول الله ﷺ لحوقا به كما أخبر رسول الله ﷺ وتوفيت سنة عشرين أرسل عمر بن الخطاب اثنى عشر ألف درهم ، كما فرض لنساء النبى ﷺ ، فأخذتها وفرقتها فى ذوى قرابتها وأيتامها ، ثم قالت : اللهم لا يدركنى عطاء لعمر بن الخطاب بعد هذا ! فماتت . وصلى عليها عمر بن الخطاب ، ودخل قبرها أسامة بن زيد ، ومحمد بن عبد الله بن جحش وعبد الله بن أبى أحمد بن جحش قيل : هى أول امرأة صنع لها النعش . ودفنت بالبقيع (١) . (أخرجها الثلاثة)

١٧ - زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم

زينب بنت رسول الله ﷺ . هى أكبر بناته ، ولدت ولرسول الله ﷺ ثلاثون سنة ، وماتت سنة ثمان من الهجرة فى حياة رسول الله ﷺ ، وأمها خديجة بنت خويلد بن أسلم . وقد شذ من لا اعتبار به أنها لم تكن أكبر بناته ، وليس بشئ ، إنما الاختلاف بين القاسم وزينب : أيهما ولد قبل الآخر ؟ فقال بعض العلماء بالنسب : أول ولد ولد له القاسم ، ثم زينب ، وقال ابن الكلبى : زينب ثم القاسم . وهاجرت بعد بدر ، وكانت زينب قد تزوجت فى مكة من أبى العاص بن الربيع .

(١) انظر طبقات ابن سعد : ٨/٨١ .

وولدت منه غلاما اسمه على ، فتوفى وقد ناهز الاحتلام ، وكان رديف رسول الله ﷺ يوم الفتح ، وولدت له أيضا بنتا اسمها أمامة ، ولم يبادر زوج زينب إلى الإسلام بل أسلم فى وقت متأخر .

عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت : وكان الإسلام قد فرق بين زينب وبين أبى العاص حين أسلمت ، إلا أن رسول الله ﷺ كان لا يقدر على أن يفرق بينهما ، وكان رسول الله ﷺ مغلوبا بمكة ، لا يحل ولا يحرم[1] .

قيل : أن أبا العاص لما أسلم رد عليه رسول الله ﷺ زينب ، فقيل : بالنكاح الأول . وقيل : ردها بنكاح جديد .

عن ابن عباس : أن النبى ﷺ رد زينب على أبى العاص بعد سنين بالنكاح الأول ، لم يحدث صداقا .

قال : وحدثنا الدولابى ، حدثنا ابراهيم بن يعقوب ، أخبرنا يزيد بن هارون عن الحجاج بن أرطاة ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده : أن رسول الله ﷺ رد زينب على أبى العاص بمهر جديد ونكاح جديد .

وتوفيت زينب بالمدينة فى السنة الثامنة ، ونزل رسول الله ﷺ فى قبرها وهو مهموم ومحزون ، فلما خرج سرى عنه وقال : « كنت ذكرت زينب وضعفها فسألت الله تعالى أن يخفف عنها ضيق القبر وغمه ، ففعل وهون عليها » . ثم توفى زوجها أبو العاص . (أخرجها الثلاثة)

---

(١) سيرة ابن هشام : ١/ ٦٥٢ .

١٨ - سفانة بنت حاتم

سفانة بنت حاتم الطائي . كان أبوها حاتم يكنى أبا سفانة .

أخبرنا أبو جعفر باسناده عن يونس ، عن محمد بن اسحاق قال : أصابت خيل رسول الله ﷺ ابنة حاتم ، فقدم بها على رسول الله ﷺ في سبايا طيئ ، فجعلت ابنة حاتم في حظيرة بباب المسجد ، فمر بها رسول الله ﷺ فقامت إليه - وكانت امرأة جزلة - فقالت : يا رسول الله . هلك الوالد ، وغاب الوافد، فامنن على من الله عليك . قال : من وافدك ؟ قالت : عدى بن حاتم . قال : الفار من الله ورسوله ؟ ثم مضى رسول الله ﷺ وتركني حتى مر بي ثلاثا فأشار إلى رجل من خلفه أن قومي فكلميه . فقمت فقلت : يا رسول الله ، هلك الوالد ، وغاب الوافد، فامنن على من الله عليك . قال : قد فعلت ، فلا تعجلى حتى تجدى ثقة يبلغك بلادك ، ثم آذنيني فسألت عن الرجل الذى أشار إلى ، فقيل : على بن أبى طالب . وقدم ركب من بلادى ، فأتيت رسول الله ﷺ فقلت : قدم رهط من قومي . قالت : فكساني رسولالله ﷺ وحملني ، وأعطاني نفقة ، فخرجت حتى قدمت الشام على أخي عدى بن حاتم ، فقالا لها عدى : ما ترين في أمر هذا الرجل . قالت : أرى أن تلحق (١) به ، فقد رأيت هديا ورأيا ، سيغلب أهل الغلبة ، رأيته يحب الفقير ، ويفك الأسير ، ويرحم الصغير ، ويعرف قدر الكبير ، وما رأيت أجود ولا أكرم منه ، وإنه لنبي ، فللسابق إيه فضله ، فأصغى « عدى » إلى رأى أخته ، وقدم على رسول الله مسلما ، ومعه أخته مسلمة أيضاً .

---

(١) انظر سيرة ابن هشام : ٢ / ٥٧٩ - ٥٨٠ .

١٩ - سلمى خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم

سلمى خادم النبى ﷺ وهى مولاة صفية بنت عبد المطلب ، وهى امرأة أبى رافع ويقال : أنها أيضاً مولاة للنبى .

وكانت قابلة بنى فاطمة بنت رسول الله ﷺ وقابلة ابراهيم ابن رسول الله صلى الله عليهم ، وهى التى غسلت فاطمة مع زوجها على ومع اسماء بنت عميس . وشهدت خيبر مع رسول الله ﷺ ومن حديثها ما أخبرنا به اسماعيل بن على وابراهيم بن محمد وغيرهما ، قالوا بإسنادهم عن أبى عيسى قال :

حدثنا أحمد بن منيع ، حدثنا حماد بن خالد الخياط ، أخبرنا قائد مولى لآل أبى رافع ، عن على بن عبيد الله ، عن جدته - وكانت تخدم النبى ﷺ - قالت : ما كان يكون برسول الله ﷺ فرحة أو نكبة [١] إلا أمرنى أن أضع عليها الحناء .

وقد روى هذا عن عبيد الله بن على . عن جدته سلمى ، قال الترمذى : عبيد الله بن على أصح [٢] .

عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : جاءت سلمى امرأة [٣] أبى رافع مولى النبى ﷺ تستأذنه على أبى رافع ، وقالت : إنه يضربنى فقال النبى ﷺ لأبى رافع : مالك ولها يا أبا رافع ؟ فقال : تؤذينى يا رسول الله قال : بم آذيته يا سلمى ؟ قالت : يا رسول الله ما أذيته بشئ ، ولكنه أحدث وهو يصلى ، فقلت له : يا أبا رافع إن رسول الله ﷺ قد

---

(١) فى بعض الكتب (نكتة) بالتاء والصواب عن تحفة الأحوذى (النكبة) وهى ما يصيب الإنسان من الحوادث .

(٢) تحفة الأحوذى باب ما جاء فى التداوى بالحناء : ٦-٢١٢ ، ٢١٣ .

(٣) فى المسند : (مولاه رسول الله - ﷺ - أو امرأة أبى رافع) .

أمر المسلمين إذا خرج من أحدهم ريح أن يتوضأ . فقام يضربنى ، فجعل رسول الله ﷺ يضحك ويقول : يا أبا رافع أنها لم تأمرك إلا بخير ، وقال : لا تضربها [1] .(أخرجها الثلاثة)

٢٠ - سمية أم عمار

سمية أم عمار بن ياسر. وهى سمية بنت خباط .

كانت أمه لأبى حذيفة بن المغيرة المخزومى ، وكان ياسر حليفا لأبى حزيفة ، فزوجه سمية ، فولدت له عمار ، فأعتقه أبو حذيفة . وكانت من السابقين إلى الإسلام ، قيل : كانت سابع سبعة فى الإسلام ، وكانت ممن يعذب فى الله عز وجل أشد العذاب .

أخبرنا أبو جعفر باسناده عن يونس بن بكير ، عن ابن اسحاق قال : حدثنى رجال من آل عمار بن ياسر أن سمية أم عمار عذبها هذا الحى من بنى المغيرة ابن عبد الله بن عمر بن مخزوم على الإسلام ، وهى تأبى غيره ، حتى قتلوها وكان رسول الله ﷺ مر بعمار وأمه وأبيه وهم يعذبونه بالابطح فى رمضاء مكة ، فيقول : صبرا آل ياسر موعدكم الجنة .

وروى أن أبا جهل طعنها فى قلبها بحربة فى يده فقتلها ، فهى أول شهيد فى الإسلام ، وكان قتلها قبل الهجرة ، وكانت ممن أظهر الإسلام بمكة فى أول الإسلام .

قال مجاهد : أول من أظهر الإسلام بمكة سبعة : رسول الله ﷺ ، وأبو بكر ، وبلال ، وخباب ، وصهيب ، وعمار ، وسمية . فأما رسول الله وأبو بكر فمنعهما قومهما ، وأما الآخرون فألبسوا أدراع الحديد ثم صهروا فى الشمس ، وجاء أبو جهل إلى سمية فطعنها بحربة فقتلها .

---

(١) مسند الإمام احمد : ٦ / ٢٧٢ .

وقال ابن قتيبة أن سمية خلف عليها بعد ياسر الأزرق ، وكان غلاما روميا للحارث بن كلدة الثقفى ، فولدت له سلمة ، فهو أخو عمار لأمه [1] .

وهذا وهم منه فاحش ، فإن الأزرق انما خلف على سمية أم زياد ، فسلمة ابن الأزرق أخو زياد لأمه ، اشتبه على ابن قتيبة سمية أم زياد بسمية أم عمار ، والله أعلم [2] .

٢١ - سودة بنت زمعة

سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤى القرشية العامرية . وأمها الشموس بنت قيس بن زيد بن عمرو بن لبيد بن خداش[3] بن عامر بن غنم بن عدى بن النجار الانصارية .

وسودة هى زوج النبى ﷺ ، تزوجها رسول الله ﷺ بمكة بعد وفاة خديجة قبل عائشة ، قاله عقيل عن الزهرى ، وقاله قتادة وأبو عبيدة ، وابن اسحاق .

وقال عبد الله بن محمد بن عقيل : تزوجها بعد عائشة . ورواه يونس عن الزهرى . وكانت قبله تحت ابن عمها السكران بن عمرو ، أخى سهيل بن عمرو ، من بنى عامر بن لؤى ، وكان مسلما فتوفى عنها ، فتزوجها رسول الله ﷺ . وكانت امرأة ثقيلة ثبطة[4] وأسنت عند رسول الله ﷺ ولم تصب منه ولدا إلى أن مات .

---

(١) المعارف لابن قتيبة : ٢٥٦ .

(٢) نبه أبو عمر فى الاستيعاب على هذا الخطا . انظر : ٤/١٨٦٣ ـ ١٨٦٤ .

(٣) فى بعض الكتب (خراش) والمثبت عن جمهرة انساب العرب لابن حزم : ١٦٧ واحدى نسخ الاستيعاب ٤ ـ ١٨٦٧ وطبقات ابن سعد : ٨ ـ ٣٦ وكتاب نسب قريش لمصعب الزبيرى : ٤٢٢ .

(٤) ثبطة : ثقلة .

وروى محمد بن اسحاق ، عن حكيم بن حكيم ، عن محمد ابن على بن الحسين ، عن أبيه قال : كان جميع ما تزوج رسول الله ﷺ خمس عشرة امرأة ، وكان أول امرأة تزوجها بعد خديجة بنت خويلد سودة بنت زمعة .

أخبرنا غير واحد باسنادهم عن محمد بن عيسى .

عن ابن عباس قال : خشيت سودة أن يطلقها رسول الله ﷺ فقالت : لا تطلقني وأمسكني ، وأجعل يومى لعائشة ، ففعل ، فنزلت : ﴿ فلا جناح عليهما أن يصالحا[1] بينهما صلحا ، والصلح خير ﴾ فما اصطلحا عليه من شئ فهو جائز [2] .

عن سودة بنت زمعة قالت : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : إن أبى شيخ كبير لا يستطيع أن يحج ؟ قال : أرأيت لو كان على أبيك دين فقضيته عنه قبل منك ؟ قال : نعم . قال : فالله أرحم ، حج عن أبيك [3] .

وتوفيت سودة اخر خلافة عمر . (اخرجها الثلاثة)

٢٢ - سيرين أخت مارية القبطية

سيرين ، أخت مارية القبطية .

أهداها المقوقس صاحب الاسكندرية إلى النبى ﷺ فتسرى النبى مارية ، وهى أم أبنه ابراهيم عليه السلام . ووهب سيرين لحسان بن ثابت ، فهى أم ابنه عبد الرحمن بن حسان .

روى عنها ابنها عبد الرحمن . أنها قالت : حضر ابراهيم ابن النبى ﷺ الموت فرأيت رسول الله ﷺ كلما صحت أنا

---

(١) هذه قراءة ثابتة فى السبعة ، أنظر البحر المحيط : ٣ - ٣٦٣ .

(٢) تحفة الاحوذى ، تفسير سورة النساء : ٨ - ٤٠٣ -٤٠٥ وقال الترمذى : « هذا حديث حسن صحيح غريب » . وانظر تفسير ابن كثير ، عند الآية ١٢٨ من سورة النساء ٢ - ٣٧٨ .

(٣) مسند الإمام زحمد : ٦-٤٢٩ .

وأختى ، نهانا عن الصياح ، وغسله الفضل بن العباس ، ورسول الله والعباس على سرير ، ثم حمل فرأيته جالسا على شفير القبر ، ونزل فى قبره الفضل والعباس وأسامة وكسفت الشمس يومئذ ، فقال الناس : كسفت لموت ابراهيم ! فقال رسول الله ﷺ : لا تكسف لموت أحد ولا لحياته . ورأى رسول الله ﷺ فرجة فى قبر ابراهيم فأمر بها فسدت ، وقال : أنها لا تضر ولا تنفع ، ولكن تقر عين الحى ، وأن العبد إذا عمل شيئا أحب الله منه أن يتقنه . (أخرجها الثالثة)

٢٣ - الشفاء بنت عبد الله

الشفاء بنت عبد الله بن عبد شمس بن خلف بن سداد بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدى بن كعب بن لؤى القرشية العدوية أم سليمان بن أبى حثمة . قيل : أسمها ليلى .

أسلمت قديما ، وهى من المبايعات ، ومن المهاجرات الأول. وأمها فاطمة بنت أبى وهب[1] بن عمرو بن عائذ بن عمر بن مخزوم . وكانت من عقلاء النساء وفضالتهن ، وكان رسول الله ﷺ يقيل عندها . واتخذت له فراشا وازاراً ينام فيه ، فلم يزل كذلك عندها حتى أخذه منهم مروان . وكان ترقى من النملة . فأمرها رسول الله ﷺ أن تعلمها حفصة . وأقطعها رسول الله ﷺ داراً عند الحكاكين ، فنزلتها مع ابنها سليمان. وكان عمر رضى الله عنه يقدمها فى الرأى ويرضاها .

روى عنها أبو بكر وعثمان ابنا سليمان بن أبى حثمة .

أخبرنا أبو ياسر باسناده عن عبد الله بن أحمد عن الشفاء

---

(١) فى طبقات ابن سعد ٨ ـ ١٩٦ : (بنت وهب) والصواب ما هنا . انظر كتاب نسب قريش لمصعب : ٣٦٨ .

بنت عبد الله ـ وكانت امرأة من المهاجرات ـ قالت : « إن رسول الله ﷺ سل عن أفضل الأعمال فقال : « ايمان بالله ، وجهاد فى سبيله ، وحج مبرور »[1] .

وروى الأوزاعي ، عن الزهرى ، عن أم سلمة و عن الشفاء بنت عبد الله قالت أتيت رسول الله ﷺ أسأله ، فجعل يعتذر إلى وأنا ألومه ، قالت : فحضرت الصلاة فخرجت فدخلت على ابنتى وهى تحت شرحبيل بن حسنة ، فوجدت شرحبيلا فى البيت وأقول : قد حضرت الصلاة وأنت فى البيت ! وجعلت ألومه ، فقال : يا خاله ، لا تلوميني ، فإنه كان لنا ثوب ، فاستعاره رسول الله ﷺ فقلت : بأبى وأمى أنى كنت ألومه وهذه حاله ولا أشعر ! قال شرحبيل : ما كان إلا درعا رقعناه[2] .

وروى عثمان بن سليمان بن أبى حثمة ، عن الشفاء بنت عبد الله أنها كانت ترقى فى الجاهلية ، وأنها لما هاجرت إلى النبى ﷺ ـ وكانت قد بايعته بمكة قبل أن يخرج ـ فقدمت عليه، فقالت : يا رسول الله ، انى كنت أرقى برقى فى الجاهلية، وأنى اردت أن أعرضها عليك . قال فاعرضيها ، فعرضتها ـ وكانت منها رقية النملة ـ فقال : ارقى بها ، وعلميها حفصة ، باسم الله صلوا صلب جبر تعوذا[3] من أفواهها ، فلا تضر أحدا ، اللهم اكشف البأس رب الناس . قال : ترقى بها على عود كركم[4] سبع مرار وتضعه مكانا نظيفا ، ثم تدلكه على

(١) مسند الامام أحمد : ٦ ـ ٣٧٢ .

(٢) اخرجه ابن ابى عاصم ، انظر الاصابة : ٤ ـ ٣٣٣ ـ ٣٣٤ .

(٣) كذا ومثله في الاستيعاب : ٤ ـ ١٨٦٩ ، ولا ندرى ما معناه . وفي المصورة : «صلق صلب حبر » وعلى هامشها (خصلوا) اهـ نقلا عن أسد الغابة ـ مطابع دار الشعب .

(٤) الكركم : الزعفران .

حجر بخل خمر ثقيف ، وتطلبه على النملة .(أخرجها الثلاثة)

وقد ثبت فى كتب السنة أنه ﷺ كان يرقى المريض بآيات من القرآن . ومن ذلك سورة الفاتحة ، وقل هو الله أحد وقل أعوذ برب الفلق ، وقل أعوذ برب الناس ، والآيتان الأخيرتان من سورة البقرة ، والأيات الأخيرة من سورة الحشر . وقوله تعالى : ﴿ وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ﴾ . وفى السنة أيضاً أن رسول الله ﷺ كان يرقى المريض بهذا الدعاء « أذهب الباس رب الناس ، واشف وأنت الشافى لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقما » .

٢٤ - صفية بنت حيى بن أخطب

صفية بنت حيى بن أخطب بن سعية [١] بن ثعلبة بن عبيد بن كعب ابن الخروج بن أبى حبيب بن النضير بن النحام بن ناخوم - وقيل : ينحوم وقيل : تخوم [٢] . والأول قاله اليهود ، وهم أعلم بلسانهم ، وهم من بنى اسرائيل من سبط لازوى ابن يعقوب ، ثم من ولد هارون بن عمران ، أخى موسى صلى الله عليهم . وأم صفية برة بنت سموأل : وكانت زوج سلام بن مشكم اليهودى ، ثم خلف عليها كنانة بن أبى الحقيق، وهما شاعران ، فقتل عنها كنانة يوم خيبر.

روى أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ لما افتتح خيبر وجمع السبى ، أتاه دحية بن خليفة فقال : أعطنى جارية من السبى . قال : اذهب فخذ جارية . فذهب فأخذ صفية . قيل : يا رسول

---

(١) فى بعض النسخ (سعنة) والمثبت عن طبقات ابن سعد : ٨-٨٥ ، والمعارف لابن قتيبة : ١٣٨ .

(٢) كذا فى بعض النسخ ، وفى بعضها (نحوم) بالحاء . وفى طبقات ابن سعد والمعارف (ينحوم) .

الله ، أنها سيدة قريظة والنضير ، ما تصلح إلا لك . فقال له رسول الله ﷺ : خذ جارية من السبي غيرها ، وأخذها رسول الله ﷺ واصطفاها ، وحجبها وأعتقها وتزوجها ، وقسم لها . وكانت عاقلة من عقلاء النساء .

أخبرنا أبو جعفر باسناده عن يونس عن ابن اسحاق قال : حدثني والدى اسحاق بن يسار قال : لما افتتح رسول الله ﷺ القموص ـ حصن ابن أبى الحقيق ـ أتى بصفية بنت حيى ، ومعها ابنة عم لها ، جاء بهما بلال ، فمر بهما على قتلى من يهود، فلما رأتهم التى مع صفية صكت وجهها وصاحت ، وحثت التراب على رأسها فقال رسول الله ﷺ : أغربوا [1] هذه الشيطانة عنى ، وأمر رسول الله ﷺ بصفية فحيزت خلفه ، وغطى عليها ثوبه . فعرف الناس أنه قد اصطفاها لنفسه ، فقال رسول الله ﷺ لبلال حين رأى من اليهودية ما رأى : يا بلال انزعت منك الرحمة حتى تمر بامرأتين على قتلاهما ؟! وقد كانت صفية قبل ذلك رأت أن قمرا وقع فى حجرها ، فذكرت ذلك لأبيها ، فضرب وجهها ضربة أثرت فيه ، وقال : إنك لتمدين عنقك إلى أن تكوني عند ملك العرب ! فلم يزل الأثر فى وجهها حتى اتى بها رسول الله ﷺ فسألها عنه ، فأخبرته الخبر[2] .

أخبرنا غير واحد باسنادهم عن أبى عيسى ، عن أنس : أن رسول الله ﷺ أعتق صفية ، وجعل عتقها صداقها [3] .

---

(١) كذا فى بعض النسخ بالغين والراء المهملة وفى سيرة ابن هشام : (اعزبوا) بالزاى والعين المهملة . وفى اللسان : (والغرب) : الذهاب والتنحى عن الناس ، وقد غرب عنا يغرب غرباً ـ بالتضعيف ـ واغرب وغروبهة واغربه : نحاه . .

(٢) سيرة ابن هشام : ٢ ـ ٣٣٦ .

(٣) تحفة الأحوذى ، أبواب النكاح ، باب (ما جاء فى الرجل يعتق الأمة ثم يتزوجها) الحديث : ١١٢٣ جـ ٤ ـ ٢٧٥ .

وحدثتنا صفية بنت حيي قالت : دخل على رسول الله ﷺ وقد بلغني عن حفصة وعائشة كلام ، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ ، فقال : ألا قلت : وكيف تكونان خيراً مني ، وزوجي محمد ، وأبي هارون ، وعمي موسى ؟! وكان بلغها أنهما قالتا : نحن أكرم على رسول الله ﷺ منها ، نحن أزواج رسول الله ﷺ وبنات عمه[1] .

عن صفية بنت حيي : أن النبي ﷺ حج بنسائه ، فلما كان ببعض الطريق[2] برك بصفية جملها ، فبكت وجاء رسول الله ﷺ حين أخبر بذلك ، فجعل يمسح دموعها بيده ، وجعلت تزداد بكاء وهو ينهاها ، فنزل رسول الله ﷺ بالناس ، فلما كان عند الزواج قال لزينب بنت جحش : يا زينب أفقري[3] أختك جملا - وكانت من أكثرهن ظهرا قالت : أنا أفقر يهوديتك؟ فغضب النبي ﷺ حين سمع ذلك منها ، فلم يكلمها حتى قدم مكة ، وأيام منى في سفره حتى رجع إلى المدينة ، ومحرم وصفر ، فلم يأتها ولم يقسم لها ، ويئست منه ، فلما كان شهر ربيع الأول دخل عليها ، فلما رأت ظله قالت : هذا ظل رجل ، وما يدخل على رسول الله ﷺ فدخل النبي ﷺ ، فلما رأته قالت : يا رسول الله، ما أصنع ؟ قالت[4] : وكانت لها جارية تخبؤها من النبي ﷺ - فقالت : فلانة لك . قال : فمشى النبي ﷺ إلى سرير صفية . وكان قد رفع ، فوضعه بيده[5] ، ورضي عن أهله[6] .

---

(١) تحفة الأحوذي : أبواب المناقب ، باب : في فضل أزواج النبي ﷺ . الحديث ٣٩٨٣: ١٠ - ٣٩١ - ٣٩٢ .

(٢) اختصر ابن الاثير لفظ هذا الحديث .

(٣) في بعض النسخ (اقفري) والصواب ما أثبتناه . وأفقره بعيره : أعاره إياه .

(٤) في بعض النسخ : (قال) والمثبت عن المسند .

(٥) لفظ المسند : (فوضعه بيده ثم أصاب أهله ، ورضي عنهم) .

(٦) مسند الإمام أحمد : ٦ - ٣٣٧ - ٣٣٨ .

وروى عنها على بن الحسين قالت : جئت إلى النبى ﷺ أتحدث عنده ، وكان معتكفا فى المسجد ، فقام معى يبلغنى بيتى ، فلقيه رجلان من الأنصار قالت : فلما رأيا رسول الله ﷺ رجعا ، فقال : تعاليا فإنها صفية . فقالا : نعوذ بالله ! يارسول الله . فقال : إن الشيطان ليجرى من ابن ادم مجرى الدم[1] .

وتوفيت سنة ست وثلاثين . وقيل سنة خمسين .

(أخرجها الثلاثة)

٢٥ - صفية بنت عبد المطلب

صفية بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشية الهاشمية عمة رسول الله ﷺ وهى أم الزبير بن العوام ، وأمها هالة بنت وهيب بن عبد مناف بن زهرة ، وهى شقيقة حمزة والمقوم وحجل بنى عبد المطلب[2] .

لم يختلف فى اسلامها من عمات النبى ﷺ ، واختلف فى عاتكة وأروى ، والصحيح أنه لم يسلم غيرها ، كانت فى الجاهلية قد تزوجها الحارث بن حرب بن أمية بن عبدشمس ، أخو أبى سفيان بن حرب فمات عنها ، فتزوجها العوام بن خويلد ، فولدت له الزبير[3] : وعبد الكعبة ، وعاشت كثيراً ، وتوفيت سنة عشرين فى خلافة عمر بن الخطاب ، ولها ثلاث وسبعون سنة . ودفنت بالبقيع . وقيل : أن العوام تزوجها

---

(١) مسند الإمام احمد : ٦ ـ ٣٣٧ .

(٢) كتاب نسب قريش : ١٧ .

(٣) فى الاستيعاب ٤ ـ ١٨٢٣ : « الزبير ، والسائب ، وعبد الكعبة » . وانظر كتاب نسب قريش : ٢٠ .

أولا ، وليس بشئ . قاله أبو عمر ولما قتل أخوها حمزة وجدت عليه وجدا شديدا ، وصبرت صبرا عظيما .

أخبرنا أبوجعفر باسناده عن يونس ، عن ابن اسحاق قال : حدثنى الزهرى وغيره من علمائنا ، عن يوم أحد وقتل حمزة ، قال : فأقبلت صفية بنت عبدالمطلب لتنظر إلى حمزة بأحد . وكان أخاها لأمها ، فقال رسول الله ﷺ لابنها الزبير : ألقها فارجعها ، لا ترى ما بأخيها . فلقيها الزبير وقال : أى أمه ، إن رسول الله ﷺ يأمرك أن ترجعى ، قالت : ولم ، فقد بلغنى أنه مثل بأخى ، وذاك فى الله ، فما أرضانا بما كان من ذلك ، لأصبرن ولأحتسبن إن شاء الله . فلما جاء الزبير إليه فأخبره قول صفية قال : خل سبيلها ، فأتته فنظرت إليه واسترجعت[1]، واستغفرت له ثم أمر به رسول الله ﷺ فدفن[2].

قال وحدثنا ابن إسحاق قال : كانت صفية بنت عبد المطلب فى قاع ـ حسن حسان بن ثابت ، يعنى فى وقعة الخندق ـ قالت : وكان حسان معنا فى الحصن مع النساء والصبيان حيث خندق رسول الله ﷺ ، قالت صفية : فمر بنا رجل يهودى فجعل يطيف بالحصن ، وقد حاربت بنو قريظة وقطعت ما بينها[3] وبين رسول الله ﷺ ، وليس بيننا وبينهم أحد يدفع عنا، ورسول الله ﷺ والمسلمون فى نحور عدوهم ، لا يستطيعون أن ينصرفوا إلينا عنهم إن أتانا آت ، قالت : فقلت : يا حسان ، أن هذا اليهودى يطوف بالحصن كما ترى ، ولا آمنه أن يدل على عوراتنا من وراءنا من يهود ، فأنزل إليه فاقتله ، فقال : يغفر الله لك يا بنة عبد المطلب ! والله لقد عرفت

(١) أى قالت (إنا لله وإنا إليه راجعون) .
(٢) سيرة ابن هشام : ٢ ـ ٩٧ .
(٣) فى بعض النسخ (بيننا) والمثبت عن سيرة ابن هشام .

ما انا بصاحب هذا ! قالت صفية : فلما قال ذلك ، ولم أر عنده شيئا ، احتجزت[1] وأخذت عمودا ونزلت من الحصن إليه ، فضربته بالعمود حتى قتلته ، ثم رجعت إلى الحصن فقلت : يا حسان ، انزل فأسلبه فإنه لم يمنعنى من سلبه إلا أنه رجل. فقال : ما لى بسلبه حاجة يا ابنة عبد المطلب[2] .

قال يونس : وحدثنا هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن صفية بنت عبد المطلب ، مثله ونحوه ، وزاد فيه : وهى أول امرأة قتلت رجلا من المشركين . (أخرجها الثلاثة)

٢٦ - عاتكة بنت زيد

عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل القرشية العدوية . وهى ابنة عم عمر بن الخطاب ، يجتمعان فى نفيل .

كانت من المهاجرات إلى المدينة ، وكانت امرأة عبد الله بن أبى بكر الصديق ، وكانت حسناء جميلة ، فأحبها حبا شديدا حتى غلبت عليه وشغلته عن مغازية وغيرها ، فأمره أبوه بطلاقها ، فقال[3] :

يقولون : طلقها وخيم مكانها مقيما ، تمنى النفس أحلام نائم
وإن فراقى أهل بيت[4] جمعتهم على كبر[5] منى لاحدى العظائم
أرانى وأهلى كالعجول[6] تروحت إلى بوها قبل العشار الروائم

(١) أى : شددت وسطى .
(٢) سيرة ابن هشام : ٢ ـ ٢٢٨ .
(٣) الأبيات فى كتاب نسب قريش : ٢٧٧ ، والاستيعاب : ٤ ـ ١٨٧٧ ، والاصابة ٤ ـ ٣٤٦ .
(٤) فى الأصول : جميعهم . والمثبت عن كتاب نسب قريش والاصابة ، وبعض نسخ الاستيعاب .
(٥) فى بعض النسخ : (على كره) . والمثبت عن كتاب نسب قريش .
(٦) فى الاصل : (تزوجت) . والمثبت عن نسخة مصورة . والعجول من النساء والابل : التى فقدت والدها لعجلتها فى جينها وذاهبها جزعا .

فعزم عليه أبوه حتى طلقها ، فتبعتها نفسه، فسمعه أبو بكر يوما وهو يقول :

أعاتك لاأنساك ماذر شارق[1] وماناح قمرى[2] الحمام المطوق
عاتك ، قلبى كل يوم وليلة اليك بما تخفى النفوس معلق
ولم أر مثلى طلق اليوم مثلها ولا مثلها فى غير جرم تطلق
لها خلق جزل ، ورأى ومنصب وخلق سوى فى الحياء ومصدق

فرق له أبوه وأمره فارتجعها ، ثم شهد عبد الله الطائف مع رسول الله ﷺ ، فرمى بسهم فمات منه بالمدينة ، فقالت عاتكة ترثيه :

رزئت بخير الناس بعد نبيهم وبعد ابى بكر،وما كان قصرا[3]
فاليت لاتنفك عينى حزينة عليك ، ولا ينفك جلدى أغبرا
فلله عينا من رأى مثله فتى أكر وأحمى فى الهياج وأصبرا
إذا شرعت فيه الأسنة خاضها إلى الموت حتى يترك الرمح أحمرا

فتزوجها زيد بن الخطاب . وقيل : لم يتزوجها ، وقتل عنها يوم اليمامة شهيدا ، فتزوجها عمر بن الخطاب سنة اثنتى عشرة ، أو لم عليها ، فدعا جمعا فيهم على بن أبى طالب ، فقال : يا أمير المؤمنين ، دعنى أكلم عاتكة . قال : افعل فأخذ بجانبى الباب وقال : يا عدية نفسها . أين قولك :

فآليت لا تنفك عينى حزينة عليك ، ولا ينفك جلدى أغبرا

فبكت ، فقال عمر : ما دعاك إلى هذا يا أبا الحسن ؟ كل النساء يفعلن هذا فقال : قال الله تعالى : ﴿ يأيها الذين آمنوا، لم تقولون مالا تفعلون . كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون ﴾ فقتل عنها عمر ، فقالت ترثيه :

---

(١) ذرت الشمس : طلعت .
(٢) القمرى ـ بضم القاف ـ : طائر يشبه الحمام .
(٣) الأبيات فى طبقات ابن سعد : ٨ ـ ١٩٤ ، وكتاب نسب قريش : ٢٧٧ .

عين ، جودى بعبرة ونحيب لاتملى على الامام النجيب
قل لأهل الضراء والبؤس : موتوا قد سقته المنون كأس شعوب[1]

ثم تزوجها الزبير بن العوام ، فقتل عنها . فقالت ترثيه :

غدر ابن جرموز بفارس بهمة[2] يوم اللقاء وكان غير معرد[3]
يا عمرو ، لو نبهته لوجدته لا طائشا رعش الجنان ولا اليد
كم غمرة قد خاضها لم يثنه عنها طرادك يا ابن فقع القردد[4]
ثكلتك أمك إن ظفرت بمثله ممن مضى، ممن يروح ويغتدى
والله ربك إن قتلت لمسلما حلت عليك عقوبة المتعمد

ثم خطبها على بن أبى طالب ، فقالت : يا أمير المؤمنين ، انت بقية الناس وسيد المرسلين ، وانى انفس بك عن الموت ، فلم يتزوجها ، وكانت تحضر صلاة الجماعة فى المسجد ، فلما خطبها عمر شرطت عليه أنه لا يمنعها عن المسجد ولا يضربها ، فأجابها على كره منه ، فلما خطبها الزبير ذكرت له ذلك ، فأجابها إليه أيضا . فلما أرادت الخروج إلى المسجد للعشاء الآخرة شق ذلك عليه ولم يمنعها ، فلما عيل صبره خرج ليلة إلى العشاء وسبقها ، وقعد لها على الطريق بحيث لا تراه ، فلما مرت ضرب بيده على عجزها ، فنفرت من ذلك ولم تخرج بعد.

(أخرجها الثلاثة)

(١) الشعوب: المنية .
(٢) البهمة : واحدة البهم ـ بضم ففتح ـ وهى : معضلات الأمور .
(٣) عرد الرجل تعريداً : فر .
(٤) الفقع : ضرب من أردأ الكماة ـ وهى نبات يخرج دون غرس ـ والقردد : ارض مرتفعة إلى جنب وهذه . وقال ابو حنيفة : الفقع يطلع من الارض فيظهر ابيض ، وهو ردئ ، والجيد ما حفر عنه واستخرج . ويشبه به الرجل الذليل ، لأن الدواب تنجله بارجلها.

٢٧ - عاتكة بنت عبد المطلب

عاتكة بنت عبد المطلب بن هاشم القرشية الهاشمية ، عمة رسول الله ﷺ . اختلف فى اسلامها ، فقال ابن اسحاق وجماعة من العلماء لم يسلم من عمات النبى ﷺ غير صفية . وكانت عاتكة عند أبى أمية بن المغيرة المخزومى أبى أم سلمة ، وهى أم ابنة عبد الله بن أبى أمية ، وأم زهير وقريبة[1] . روت عنها أم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط وغيرها .

عن عروة بن الزبير قال : رأت عاتكة بنت عبد المطلب فيما يرى النائم - قبل مقدم ضمضم بن عمرو الغفارى على قريش مكة بثلاث ليال - رؤيا ، فأصبحت عاتكة فبعثت إلى أخيها العباس فقالت : يا أخى ، لقد رأيت الليلة رؤيا : ليدخلن على قومك منها شر وبلاء ! فقال : وما هى ؟ فقالت : رأيت فيما يرى النائم رجلا اقبل على بعير له فوقف بالأبطح ، فقال : « انفروا يا آل غدر لمصارعكم فى ثلاث » . فأرى الناس اجتمعوا إليه ، ثم أرى بعيره دخل به المسجد ، واجتمع الناس إليه ، ثم مثل[2] به بعيرة ، فاذا هو على رأس الكعبة فقال : « انفروا يا آل غدر ، لمصارعكم فى ثلاث » ثم أرى بعيره مثل به على رأس ابى قبيس فقال : « انفروا يا آل غدر ، لمصارعكم فى ثلاث » . ثم اخذ صخرة فأرسلها من رأس الجبل ، فأقبلت تهوى ، حتى إذا كانت فى أسفله ارفاضت[3] فما بقيت دار من دور قومك ، ولا بيت إلا دخل فيها بعضها . فقال العباس : اكتميها . قالت : وأنت فاكتمها .

---

(١) كتاب نسب قريش : ١٨ .
(٢) اى : قام به .
(٣) اى : تفتت .

فخرج العباس من عندها فلقى الوليد بن عتبة ـ وكان له صديقا ـ فذكرها له واستكتمه اياها ، فذكرها الوليد لأبيه ، فتحدث بها ، ففشا الحديث فقال العباس : والله انى لغاد إلى الكعبة لأطوف بها ، فاذا أبو جهل فى نفر يتحدثون عن رؤيا عاتكة ، فقال أبو جهل : يا أبا الفضل متى حدثت فيكم هذه النبية ؟ فقلت : وما ذاك ؟ قال : رؤيا عاتكة بنت عبد المطلب ، أما رضيتم أن تنبأ رجالكم حتى تنبأت نساؤكم ؟ سنتربص بكم الثلاث التى ذكرت عاتكة ، فإن كان حقا فسيكون ، وإلا كتبنا عليكم كتابا انكم أكذب أهل بيت فى العرب ! فأنكرت وقلت : ما رأت شيئا . فلما أمسيت لم تبق امرأة من بنى عبد المطلب إلا أتتنى فقلن : صبرتم لهذا الفاسق الخبيث أن يقع فى رجالكم ، ثم قد تناول النساء ، وانت تسمع ، فلم يكن عندك غيرة ؟ فقلت : قد ـ والله ـ صدقتن . ولأتعرضن له ، فان عاد لأكفينكه . فغدوت فى اليوم الثالث اتعرض له ليقول شيئا أشاتمه ، فو الله انى لمقبل نحوه إذ ولى نحو باب المسجد أشتد[1] . فقلت فى نفسى : اللهم العنة ، اكل هذا فرقا ان اشاتمه ! وإذا هو قد سمع ما لم اسمع صوت ضمضم بن عمرو وهو واقف على بعيره بالابطح ، حتى حول رحله ، وشق قميصه وجذع [2] بعيره ، يقول : يا معشر قريش ، اللطيمة اللطيمة [3] ، أموالكم مع ابى سفيان ، قد عرض لها محمد وأصحابه ، الغوث الغوث فشغله ذلك عنى ، وشغلنى عنه ، فلم يكن إلا الجهاز ، حتى خرجنا إلى بدر ، فأصاب

---

(١) اى : يسرع . (٢) اى قطع انفه .

(٣) اللطيمة : الابل التى تحمل البز والطيب .

قـريشا مـا أصابهـا ببدر وصـدق الله سبـحانه وتعـالى رؤيا عاتكة[1] .

(أخرجها الثلاثة)

٢٨ - فاطمة بنت أسد

فاطمة بنت اسد بن هاشم بن عبد مناف القرشية الهاشمية، ام على بن أبى طالب . وام اخواته طالب وعقيل وجعفر . قيل : انها توفيت قـبل الهجرة وليس بشئ ، والصحـيح انها هاجرت إلى المدينة ، وتفيت بها .

قال الشـعبى : أم على فاطمة بنت أسـد ، اسلمت وهاجرت إلى المدينة ، وتوفيت بها [2] .

وروى الأعمش : عن عمرو بن مرة ، عن ابى البحترى ، عن على قال : قلت لأمى فاطمة بنت أسد : أكفى فاطمة بنت رسول الله ﷺ سـقاية المـاء والذهاب فى الحـاجة ، وتكفـيك الداخل : الطحن والعجن .

وهذا يدل على هـجرتها،لأن عليا انما تزوج فاطمة بالمدينة .

قـال الزهرى : هى أول هاشـميـة ولدت لهـا شـمى ، وهى أيضاً أول هاشمية ولدت خليفـة ، ثم بعدها فاطمة بنت رسول الله ﷺ ولدت الحسن ، ثم زبيـدة امرأة الرشيـد ولدت الأمين ، لا نعلم غيـرهن . ثم ان هؤلاء الثلاثة لم تصف فهم الخـلافة ، فـأما على فـانه كـان من اضطراب الأمور عـليه إلى أن قـتل ، ما هو مشـهور ، واما الحسن والأمين فخلعا .

عن عبد الله بن محمد بن عمر بنّ على ، عن ابيه : أن رسول

(١) سيرة ابن هشام : ١ ـ ٦٠٧ ـ ٦٠٩ . وانظر طبقات ابن سعد : ٨ ـ ٢٩ ـ ٣٠ .
(٢) الاستيعاب : ٤ ـ ١٨٩١ .

الله ﷺ كفن فاطمة بنت أسد في قميصه ، واضطجع في قبرها وجزاها خيرا .

وروى عن ابن عباس نحو هذا ، وزاد ، « فقالوا : ما رأيناك صنعت بأحد ما صنعت بهذه ! قال : أنه لم يكن بعد أبي طالب أبر بي منها ، إنما البستها قميصي لتكسى من حلل الجنة ، واضطجعت في قبرها ليهون عليها عذاب القبر .

قال الزبير : انقرض ولد اسد بن هاشم إلا من ابنته فاطمة بنت أسد[1] .

(أخرجها الثلاثة)

٢٩ - فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم

فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، سيدة نساء العالمين ، ماعدا مريم بنت عمران صلى الله عليهما . امها خديجة بنت خويلد . وكانت هي وأم كلثوم أصغر بنات رسول الله ﷺ .

وقد اختلف : في أيتهن أصغر سنا ؟ وقيل : أن رقية أصغرهن وفيه عندي نظر ، لأن النبي ﷺ زوج رقية من ابن أبي لهب ، فطلقها قبل الدخول بها ، أمره أبواه بذلك ، ثم تزوجها عثمان رضي الله عنه وهاجرت معه إلى الحبشة ، فما كان ليزوج الصغرى ويترك الكبرى . وكانت فاطمة تكنى أم أبيها ، وكانت أحب الناس إلى رسول الله ﷺ وزوجها من علي بعد أحد. وقيل : تزوجها علي بعد أن ابنتي رسول الله ﷺ بعائشة بأربعة أشهر ونصف ، وابنتي بها بعد تزويجه أيها بسبعة أشهر ونصف ، وكان سنها يوم تزوجها خمس عشرة سنة وخمسة أشهر في قول . وانقطع نسل رسول الله ﷺ إلا

(١) انظر كتاب نسب قريش لمصعب الزبيري : ١٦ .

منها ، فان الذكور من أولاده ماتوا صغارا ، وأما البنات فان رقية رضى الله عنها ولدت عبد الله بن عثمان فتوفى صغيرا ، وأما أم كلثوم فلم تلد[١] . وأما زينب رضى الله عنها فولت عليا ومات صبيا ، وولدت امامه بنت ابى العاص فتزوجها على ، ثم بعده المغيره بن نوفل وقال الزبير : انقرض عقب زينب[٢] .

عن ابى اسحاق ، عن الحارث ، عن على قال : خطب أبو بكر وعمر - يعنى فاطمة إلى رسول الله ﷺ ، فأبى رسول الله ﷺ عليهما ، فقال عمر ! فو الله لقد انكحك أكثرهم علما ، وأفضلهم حلما ، وأولهم سلما .

عن على بن أبى طالب قال : خطبت فاطمة إلى رسول الله ﷺ فقالت لى مولاة لى . هل علمت أن فاطمة خطبت إلى رسول الله ﷺ قلت : لا . قالت : فقد خطبت ، فما يمنعك أن تأتى رسول الله ﷺ فيزوجك . فقلت : وعندى شئ أتزوج به ؟ فقلت : انك ان جئت رسول الله ﷺ زوجك . فوالله مازالت ترجينى حتى دخلت على رسول الله ﷺ - وكانت لرسول الله ﷺ جلالة وهيبة - فلما قعدت بين يديه أفحمت ، فو الله ما أستطيع أن اتكلم ، فقال : ما جاء بك ؟ ألك حاجة ؟ فسكت ، فقال : لعلك جئت تخطب فاطمة ؟ قلت : نعم . قال : هل عندك من شئ تستحلها به ؟ فقلت : لا ، والله يا رسول الله فقال : ما فعلت بالدرع التى سلحتكها ؟ فقلت : عندى والذى نفس على

(١) فى الأصول : (لم تلد) فزدنا الفاء ليستقيم السياق .
(٢) انظر كتاب نسب قريش لمصعب : ٢٢ .

بيده انها لحطمية[1] ، ثمنها أربعمائة درهم . قال : قد زوجتك ، فابعث بها ، فان كانت لصداق فاطمة بنت رسول الله ﷺ [2]

وعن ابن بريدة ، عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ ليلة البناء ـ يعنى بفاطمة ـ يا على : لاتحدثن شيئا حتى تلقانى . فدعا رسول الله ﷺ بماء فتوضأ منه ، ثم أفرغه على على وقال: اللهم بارك فيهما وبارك عليهما ، وبارك لهما فى نسلهما.

قال ابن اسحاق : وحدثنى من لا أتهم أن رسول الله ﷺ كان يغار لبناته غيرة شديدة ، كان لا ينكح بناته على ضرة.

عن المسور بن مخرمة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول وهو على المنبر : إن بنى هشام بن المغيرة استأذنونى فى أن ينكحوا ابنتهم على بن أبى طالب ، فلا آذن ، ثم لا آذن ، إلا أن يريد على بن أبى طالب أن يطلق ابنتى وينكح ابنتهم ، فانها بضعة منى ، يريبنى ما رابها ، ويؤذينى ما آذاها [3] .

عن عطاء بن يسار ، عن أم سلمة قالت : فى بيتى نزلت : ﴿ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ﴾ ، قالت : فأرسل رسول الله ﷺ إلى فاطمة وعلى والحسن والحسين فقال : هؤلاء أهلى . قالت : فقلت : يا رسول الله أفما أنا من أهل البيت ؟ قال : بلى ، إن شاء الله عز وجل .

---

(١) الحطمية بضم الحاء وفتح الطاء ـ التى تحطم السيوف . وقيل : هى العريضة الثقيلة قيل : هى منسوبة إلى بطن من عبد القيس ، يقال لهم : حطمة بن محارب ، كانوا يعملون والدروع . يقول ابن الأثير فى النهاية : وهذا أشبه الأقوال .

(٢) انظر طبقات ابن سعد : ٨ ـ ١٢ ـ ١٣ .

(٣) تحفة الأحوذى ، أبواب المناقب ، باب « ما جاء فى فضل فاطمة رضى الله عنها » الحديث ٣٦٥٩ ، ١٠ ـ ٣٦٩ ـ ٣٧٠ وقال الترمذى ، هذا حديث صحيح .

قال أبو صالح : قال الحاكم فى المستدرك ، عن الأصم قال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه [1] .

عن أنس بن مالك : أن رسول الله ﷺ كان يمر ببيت فاطمة ستة أشهر إذا خرج لصلاة الفجر ، يقول : الصلاة يا أهل بيت محمد ، ﴿ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ، ويطهركم تطهيرا ﴾ [2] .

عن عائشة قالت : أقبلت فاطمة تمشى ، كأن مشيتها مشية رسول الله ﷺ ، فقال : مرحبا با بنتى . ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله ، ثم أسر اليها حديثا فبكت ، ثم اسر اليها حديثا فضحكت ، فقلت : ما رأيت كاليوم فرحا أقرب من حزن . فسألتها عما قال ، فقالت : ما كنت لأفشى سر رسول الله ﷺ فلما قبض سألتها ، فأخبرتنى أنه سر إلى فقال : أن جبريل كان يعارضنى بالقرآن فى كل سنة مرة وانه عارضنى العام مرتين، وما أراه إلا وقد حضر أجلى ، وانك أول أهلى لحوقا بى ، ونعم السلف أنا لك ، فبكيت ، فقال : ألا ترضين أن تكونى سيدة نساء العالمين .

قال أبو صالح : رواه البخارى فى الصحيح [3] ، عن أبى نعيم . وهذا من غريب الصحيح ، فان زكريا روى عن الشعبى أحاديث فى الصحيحين ، وهذا يرويه عن فراس ، عن الشعبى .

---

(١) المستدرك : مناقب أهل البيت : ٣ ـ ١٤٦ .

(٢) أخرجه الإمام أحمد والترمذى من حديث حماد ، انظر تحفة الأحوذى ، تفسير سورة الأحزاب ، الحديث ٣٢٥٩ ، ٩ ـ ٦٧ ـ ٦٨ . وتفسير ابن كثير ، عند الآية الثالثة والثلاثين من سورة الأحزاب : ٦ ـ ٤٠٧ .

(٣) البخارى ، كتاب المناقب : ٤ ـ ٢٤٧ ـ ٢٤٨ .

عن جميع بن عمير التيمى قال : دخلت مع عمى على عائشة، فسألت : أى الناس كان أحب إلى رسول الله ﷺ ؟ قالت فاطمة . قيل : من الرجل ؟ قالت : زوجها ، إن كان ـ ما علمت ـ صواما قواما [١] .

عن ابن أبى نجيح ، عن أبيه ، عن رجل سمع عن على بن أبى طالب يقول : سألت رسول الله ﷺ فقلت : أينا أحب إليك انا أو فاطمة ؟ قال : فاطمة أحب إلى منك ، وأنت أعز على منها.

عن ابن عباس : أن النبى ﷺ قال لفاطمة : « أن الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك . »

عن على : أن النبى ﷺ كان إذا قدم من سفر قبل ابنته فاطمة .

عن أم سلمة قالت : جاءت فاطمة إلى النبى ﷺ فسارها بشئ فبكت ثم سارها بشئ فضحكت ، فسألتها عنه فقالت : أخبرنى أنه مقبوض فى هذه السنة فبكيت ، فقال : ما يسرك أن تكونى سيدة نساء أهل الجنة ، إلا فلانة ، فضحكت .

عن على قال : دخل على رسول الله ﷺ وأنا نائم[٢] ، فاستسقى الحسن أو الحسين ، قال : فقام النبى ﷺ إلى شاة لنا بكئ[٣] فحلبها ، فدرت ، فجاء الحسن فنحاه النبى ﷺ فقالت فاطمة : يا رسول الله ، كأنه أحبهما اليك ؟ قال : لا ، ولكنه استسقى قبله . ثم قال : انا واياك وهذين وهذا الراقد فى مكان واحد يوم القيامة[٤] .

---

(١) تحفة الاحوذى ، ابواب المناقب ، باب « ما جاء فى فضل فاطمة رضى الله عنها » الحديث ٣٩٦٥ : ١٠ ـ ٣٧٥ .

(٢) فى المسند : « وانا قائم على المنامة » .

(٣) اى : قليلة اللبن .

(٤) مسند الإمام احمد : ١ ـ ١٠١ .

عن زيد بن أرقم : أن رسول الله ﷺ قال : لعلي وفاطمة والحسن والحسين أنا حرب لمن حاربتم ، وسلم لمن سالم[1].

عن علي قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : إذا كان يوم القيامة نادى مناد من وراء الحجاب : يا أهل الجمع غضوا أبصاركم عن فاطمة بنت محمد حتى تمر .

عن فاطمة بنت الحسين بن علي ، عن جدتها فاطمة الكبرى. هي بنت رسول الله ﷺ - قالت : كان رسول الله ﷺ إذا دخل المسجد صلى على محمد وسلم ثم قال : رب اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك وإذا خرج صلى على محمد وسلم ثم قال : ربي اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب فضلك [2] .

هذا الحديث ليس اسناده بمتصل ، فان فاطمة بنت الحسين لم تدرك جدتها فاطمة الكبرى ، والله أعلم [3] .

وتوفيت فاطمة بعد رسول الله ﷺ بستة أشهر . هذا أصح ما قيل وقيل : بثلاثة أشهر . وقيل : عاشت بعده سبعين يوما. وما رؤيت ضاحكة بعد وفاة رسول الله ﷺ حتى لحقت بالله عز وجل ، ووجدت [3] عليه وجدا عظيما .

قال أنس : قالت لي فاطمة : يا أنس ، كيف طابت قلوبكم ؟! تحثون التراب على رسول الله ﷺ ؟

وكانت أول أهله حلوقا به ، تصديقا لقوله ﷺ . ولما حضرها الموت قالت لأسماء بنت عميس : يا اسماء ، اني قد استقبحت ما يصنع بالنساء ، يطرح على المرأة الثوب فيصفها.

(١) تحفة الاحوذي ، ابواب المناقب ، باب « ما جاء في فضل فاطمة رضي الله عنها » الحديث ٣٩٦٢ : ١٠ - ٣٧١ - ٣٧٢ .

(٢) مسند الإمام احمد : ٦ - ٢٨٢ .

(٣) اي : حزنت .

قالت أسماء يا ابنة رسول الله ﷺ ألا أريك شيئا رأيته بأرض الحبشة ؟ فدعت بجرائد رطبة فحنتها ، ثم طرحت عليها ثوبا . فقالت فاطمة : ما أحسن هذا وأجمله ! فإذا أنامت فاغسلينى أنت وعلى ، ولا تدخلى على أحدا . فلما توفيت جاءت عائشة ، فمنعتها أسماء فشكتها عائشة إلى أبى بكر وقالت : هذه الخثعمية تحول بيننا وبين بنت رسول الله ﷺ ! فوقف أبو بكر على الباب وقال : يا أسماء ما حملك على أن منعت أزواج النبى ﷺ أن يدخلن على بنت رسول الله ﷺ ، وقد صنعت لها هودجا ؟ قالت هى أمرتنى ألا يدخل عليها أحد ، وأمرتنى أن أصنع لها ذلك . قال : فاصنعى ما أمرتك . وغسلها على وأسماء[1].

وهى أول من غطى نعشها فى الإسلام ، ثم بعدها زينب بنت جحش . وصلى عليها على بن أبى طالب . وقيل : صلى عليها العباس . وأوصت أن تدفن ليلا ففعل ذلك بها . ونزل فى قبرها على والعباس ، والفضل بن العباس .

قيل : توفيت لثلاث خلون من رمضان سنة احدى عشرة ، والله أعلم . وكان عمرها تسعا وعشرين سنة .

وقال عبد الله بن الحسن بن الحسن [2] بن على : كان عمرها ثلاثين سنة . وقال الكلبى : كان عمرها خمسا وثلاثين سنة .

وقد روى أنها اغتسلت لما حضرها الموت وتكفنت ، وأمرت عليا أن لا يكشفها إذا توفيت ، وأن يدرجها [3] فى ثيابها كما هى ، ويدفنها ليلا . والصحيح أن عليا وأسماء غسلاها والله أعلم . (أخرجها الثلاثة)

---

(١) الاستيعاب لابن عبد البر : ٤ ـ ١٨٩٧ ـ ١٨٩٨ .

(٢) فى الأصل (الحسن بن الحسين) . والمثبت عن الاستيعاب : ٤ ـ ١٨٩٩ .

(٣) أى : يلفها .

٣٠ - فضة النوبية
جارية فاطمة الزهراء

فضة النوبية ، جارية فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ .

عن ابن عباس قال فى قوله تعالى : ﴿ يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا . ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا ﴾ . قال : مرض الحسن والحسين ، فعادهما جدهما رسول الله ﷺ وعادهما عامة العرب ، فقالوا : يا أبا الحسن ، لو نذرت على ولدك نذرا . فقال على إن برآمما بهما صمت لله عز وجل ثلاثة أيام شكرا . وقالت فاطمة كذلك وقالت جارية يقال لها فضة نوبية : إن برأ سيداى صمت لله عز وجل شكرا ، فألبس الغلامان العافية ، وليس عند آل محمد قليل ولا كثير . فانطلق على إلى شمعون الخيرى فاستقرض منه ثلاثة آسع من شعير ، فجاء بها فوضعها ، فقامت فاطمة إلى صاع فطحنته واختبزته ، وصلى على مع رسول الله ﷺ ثم أتى المنزل فوضع الطعام بين يديه ، إذ أتاهم مسكين فوقف بالباب ، فقال : السلام عليكم أهل بيت محمد مسكين من أولاد المسلمين ، أطعمونى أطعمكم الله عز وجل على موائد الجنة ، فسمعه على ، فأمرهم فأعطوه الطعام . ومكثوا يومهم وليلتهم لم يذوقوا إلا الماء . فلما كان اليوم الثانى قامت فاطمة إلى صاع وخبزته ، وصلى على مع النبى ﷺ ووضع الطعام بين يديه ، إذ أتاهم يتيم فوقف بالباب ، وقال : السلام عليكم أهل بيت محمد ، يتيم بالباب من أولاد المهاجرين ، استشهد والدى أطعمونى . فأعطوه الطعام ، فمكثوا يومين لم يذوقوا إلا الماء . فلما كان اليوم الثالث قامت فاطمة إلى الصاع الباقى

فطحنته واختبزته ، فصلى على مع النبى ﷺ ، ووضع الطعام بين يديه، إذ أتاهم أسير فوقف بالباب وقال : السلام عليكم أهل بيت النبوة ، تأسروننا وتشدوننا ولا تطعموننا ، أطعمونى فانى أسير . فأعطوه الطعام ومكثوا ثلاثة أيام ولياليها لم يذوقوا إلا الماء . فأتاهم رسول الله ﷺ فرأى ما بهم من الجوع فأنزل الله تعالى ﴿ هل أتى على الانسان حين من الدهر﴾ إلى قوله : ﴿ لا نريد منك جزاء ولا شكورا ﴾ .

٣١ - قتيلة بنت النضر

قتيلة بنت النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبدمناف بن عبد الدار بن قصى القرشية العبدرية . كانت تحت عبد الله بن الحارث ابن أمية الأصغر ابن عبد شمس ، فولدت له عليا ، والوليد ، ومحمدا ، وأم الحكم .

قال الواقدى : هى التى قالت الأبيات الآتية فى رسول الله ﷺ لما قتل أباها النضر بن الحارث يوم بدر ، وهى [١] : ـ

يا راكبا أن الأثيل مظنة من صبح خامسة وأنت موفق[٢]
أبلغ بها[٣] ميتا بأن[٤] تحية ماإن تزال بها النجائب تعتق[٥]
منى إليه وعبرة مسفوحة جادت لما تحتها[٦]وأخرى تخنق

(١) الأبيات فى سيرة ابن هشام : ٢ ـ ٤٢ ، وكتاب نسب قريش لمصعب الزبيرى ٤ ـ ٢٥٥ ، والاستيعاب : ٤ ـ ١٩٠٤ ـ ١٩٠٥ ، والبيان والتبيين للجاحظ : ٤ ـ ٤٣ ـ ٤٤ .

(٢) الأثيل ـ مصغراً ـ : عين ماء بين بدر ووادى الصفراء . ومظنة : موضع ايقاع الظن.

(٣) فى الكتب : (به) . المثبت عن السيرة والبيان ، والتانيث لانها عين ماء .

(٤) فى الكتب : (فان) . والمثبت عن سيرة ابن هشام الـ .

(٥) تعتق : تسرع . وفى المراجع المتقدمة (تخفق) وهو بمعناه .

(٦) فى المطبوعة : (لما تحتها) . والمانح : المستسقى . والكلام استعارة . وفى. كتاب نسب قريش (لمانحها) وهو بمعناه

ظلت سيوف بني أبيه تنوشه ... لله أرحام هناك تشقق
قسرا يقاد إلى المنية متعبا[1] ... رسف المقيد،وهو عان موثق[2]
أمحمد ، أولست ضنء[3] نجيبة ... من قومها،والفحل فحل معرق
ما كان ضرك لو مننت وربما ... من الفتى وهو المغيظ المحنق[4]
فالنضر أقرب من تركت قرابة ... واحقهم إن كان عتق يعتق

فلما بلغ رسول الله ﷺ ذلك بكى حتى اخضلت الدموع لحيته ، وقال : لو بلغني شعرها قبل أن أقتله ما قتلته . ذكر هذا الخبر عبد الله بن أدريس . وذكر الزبير قال : فرق رسول الله ﷺ حتى دمعت عيناه وقال لأبى بكر : يا أبا بكر ، لو سمعت شعرها لم أقتل أباها .

(أخرجها أبو عمر)

وروى بعضهم « عتق يعتق » بضم الياء وكسر التاء ، ومعناه : إن كان شرف ونجابة وكرم نفس وأصل يعتق صاحبه فهو أحق به .

٣٢ - معاذة جارية عبد الله بن أبى ابن سلول

روى الليث ، عن عقيل ، عن الزهرى ، عن محمد بن ثابت ـ أخى بنى الحارث بن الخزرجى فى قوله عز وجل : ﴿ ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ﴾ قال : نزلت فى معاذة جارية عبدالله ابن أبى ابن سلول، وذلك أنه كان عنده أسير فكان عبد الله

(١) فى المطبوعة والمصورة : « معتباً » بتقديم العين . ولا يستقيم المعنى عليه . والمثبت عن المرجع المتقدمة ا . هـ نقلا عن أسد الغابة فى معرفة الصحابة .
(٢) الرسف : المشي الثقيل . والعاني : الأسير .
(٣) فى بعض النسخ : (صنو) والمثبت عن السيرة ، والبيان ، وكتاب نسب قريش والضنء ـ بالضاد المعجمة مفتوحة او مكسورة : الولد .
(٤) المحنق : الشديد الغيظ ، والتعليق منقولة من كتاب « أسد العابة فى معرفة الصحابة لعز الدين بن الأثير » ـ مطابع دار الشعب بالقاهرة .

يضربها لتمكنه من نفسها ، رجاء أن تحبل منه ، فيأخذ فى ذلك فداء . وهو العرض الذى قال الله عز وجل : ﴿ لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ﴾ وكانت الجارية تأبى عليه وهى مسلمة ـ قال الزهرى : كانت مسلمة فاضلة ، فأنزل الله هذه الآية . ثم إنها عتقت[1] وبايعت النبى ﷺ بيعة النساء ، فتزوجها بعد ذلك سهل بن قرظة . أخو بنى عمرو بن عوف ، فولدت عبد الله بن سهل وأم سعيد بنت سهل . ثم هلك عنها أو فارقها فتزوجها الحمير بن عدى القارئ ، أخو بنى خطمة فولدت له توأما ، الحارث وعديا ابنى الحمير ، ثم فارقها فتزوجها عامر بن عدى رجل من بنى خطمة أيضاً ، فولدت أم حبيب بنت عامر .

قيل فى نسبها : معاذة بنت عبد الله بن حبر بن الضرير بن أمية بن خدارة بن الحارث بن الخزرج . .

وقا ابن ماكولا : وأما الضرير ـ بضم الضاد المعجمة ، وفتح الراء ـ فمعاذة بنت عبد الله بن حبر بن الضرير بن أمية بن خدارة بن الحارث بن الخزرج . وذكر من أمرها ما تقدم .

أخرجها أبو عمر ، وأبو موسى . الا أن أبا عمر قال : «معاذة بنت عبد الله . وقيل : مسيكة . قال الزهرى : معاذة . وقال الأعمش ، عن أبى سفيان عن جابر اسمها مسيكة . وقال: والصحيح قول ابن شهاب ان شاء الله تعالى .

وقد روى أبو صالح ، عن ابن عباس القصة ، وسمى الجارية ، مسيكة ، فوافق الأعمش ، والله أعلم .

قلت : قول ابن شهاب فى نسبها ما ذكرناه إلى خدارة ، يدل على أن الأنصار قد كان يسبى بعضهم بعضاً فى

---

(١) أى : خرجت من الرق .

الجاهلية، فإن بني خدرة وخدارة هم من ولد الحارث بن الخزرج، وعبد الله بن أبي من بني الجبلي بن غنم بن عوف بن الخزرج ، فكلهم خزرجيون ، ومع ذلك فقد كانت معاذة من خدارة وهي أمه لعبد الله بن أبي ، والله أعلم .

في أعقاب ترجمة الصحابيات

الحمد لله الذي هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.
لقد كان الصحابة والصحابيات نماذج مضيئة ومعالم للحق والهدى ، وقد مدحهم القرآن بقوله الخالد :

﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ، ومثلهم في الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيما ﴾
(الفتح : ٢٩)

خاتمـــــة

فى ختـام الحديث اتوجـه إلى الفتـاة المسلمـة أدعوها إلى الأمور الآتية :

١ - حـافظى على الصـلاة والوضوء والطهـارة الحـسيـة والمعنوية ، لتكونى قـريبة من الله ، قريبة من الجنة بـعيدة من النار .

٢ - التزمى بآداب الإسلام فى العبادات والمعاملات ، وثقى أن ذلك يزيدك جمالاً ، ويرفع رصيدك عند الله وعند الناس .

٣ - احذرى الفتاة المـاجنة المستهترة ، واختـارى رفيقتك بعناية ، لأن الجليس الصالح كالمسك رائحته طيبة .

والجليس السوء مثل كير الحداد يتطاير منه الشرر .

٤ - حافظى على الفـرائض ، مثل صيام رمـضان ، وغض البصر ، والاستقامة ، والبـعد عن المحرَّمات ، فالنبى ﷺ يقول : « يا معشر الناس : اضمنوا لى ستا اضمن لكم الجنة .

اصدقـوا إذا حدثتم ، واوفوا إذا عـاهدتم ، وادوا الامانة إذا اؤتمنتم ، وغُـضُّـوا أبصـاركم ، واحفـظوا فروجكم ، وكـفـوا أيديكم » .

٥ - اقتـربى من والديك ، ومن اخوتك ، واسـتعـدِّى لطاعة

زوجك بعد الزواج ، والتعاون معه على البر والتقوى ، وثقى أن الحبَّ عطاء وتضحية وكفاح وعمل وأمل ، وبذلك تساهمين فى بناء بيت مسلم ، يعتز به الاسلام ، ويرضى عنه الله رب العالمين ».

والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات ..

الفهـــرس

الصفحة

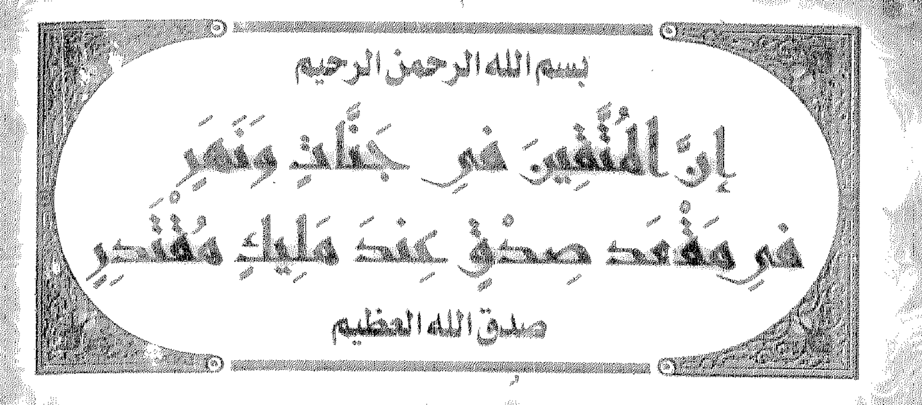
الصفحة

رقم الإيداع ١٦٦٦٩ / ٩٨

الترقيم الدولى
I. S. B. N.
977 - 08 - 0704 - 4



مصر للطيران
EGYPT AIR
أكثر من ٤٠٠ رحلة
إلى ٩٤ مدينة



بسم الله الرحمن الرحيم
إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ
فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ
صدق الله العظيم